

ظاهرة (كفى) دراسة في المعجم وعلاقته بالنحو والأسلوب

م. د. سعد فرج الله *

تأريخ القبول: ٢٠٢٠/٩/١٢

تأريخ التقديم: ٢٠٢٠/٨/٣

المستخلص:

يباشر هذا البحث الفعل (كفى) إحدى الظواهر الفريدة في اللغة العربية في بنية استعمالها معجماً ونحواً وأسلوباً . ويتناول الباحث من خلاله التفكير النحوي العربي ومرآل تطوره في خصوص هذه الظاهرة مبيّناً من مساره آراء اللغويين عامة والنحويين خاصة ، عرضاً ، وموازنة ، وترجيحاً . ثم الخلوص من ذلك إلى تثبيت صيغة (كفى به) بوصفها بنية تعجبية جديدة ، لاطرادها وتفرداها في أسلوبها هذا ولاسيما في القرآن الكريم ؛ ثم موازنتها مع استعمال آخر دال على التعجب بحكم دلالة التركيب النحوي بما لم يعهد عند النحاة . وهكذا يمضي البحث حتى الوصول إلى المقارنة بين الاستعمالين القديم والجديد أو المعاصر لـ (كفى) ووضع اليد على مظاهر استعمالها وتطوره ، نماذج ، وأمثلة .

الكلمات المفتاحية : التفكير النحوي ؛ نحو المعنى ؛ نحو التركيب ؛ التعجب

- مقدمة :

يمثل الفعل (كفى) ظاهرة خاصة فريدة في الاستعمال العربي ومستوياته معجماً* ونحواً وأسلوباً ؛ وبرزت قيمة هذا الفعل معجماً حينما امتدت خيوط شبكته الدلالية ، فانفتحت على مداخل لمواد لغوية أخرى مختلفة عن أصل اشتقاقه أفضت بـ (كفى) إلى تنوع صور تركيبها بأثرها المعجمي هذا . أمّا تفرد الجانب النحوي فهو يأتي من الامتداد المعجمي لها ، الذي يتحقق في تنوعها بين اللزوم والتعدي وتردد التعدي بين مفعول واحد أو مفعولين . في حين يحظى مبحث الباء الزائدة ووظيفته في معمولها بأهمية كبيرة أغنى البحث فيها بما ترشحت لها بأثر من أقوال القدماء وتوجيهاتهم النحوية بناء على سياقاتها المتحققة أو ما يقاس عليها من الاستعمال الممكن ؛ وتباعاً يأخذ مستوى

* قسم اللغة العربية/ كلية الاداب/ جامعة البصرة .

الأسلوب حصته من تضافر المعجم والنحو والسياق في بناء صيغة (كفى به) الدالة على إنشاء التعجب ، في استعمال تنفرد فيه عن نظائرها من الأفعال .

وبأثر مما اتضح أعلاه ، عمل البحث على رصد المعنى المعجمي بدءاً ، مراعيّاً في عمقه وجوهره خصائصه التركيبية الدلالية وعلاقاتها النحوية (التضام) وتحديدًا فيما يعرف بقيود التوارد (١) . من خلال التقصي لكتب التراث التي تعرّضت لمباحث (كفى) ، استقرأً لذلك المعنى حتى تبيان أثره في التركيب النحوي وتنوعه استعمالته ، بما جعل النحاة يختلفون في تحديد نمطه التركيبي بين اللزوم والتعدي لواحد أو اثنين من مفعولاته . وليس المكون التركيبي هذا بمعزل عن الأسلوب المرتبط بالسياق كما هو معلوم ، لذا كان لزاماً على الباحث التتبع الدقيق للاستعمال القديم الموثق في بطون كتب التراث وأقوال العلماء القدماء وآرائهم وتوجيهاتهم فيه ، لأجل التحري عن أسرار النمط الأسلوبي الذي يحوّل (كفى) من مضمون الإخبار إلى الإنشاء ، وتحديدًا معنى التعجب غير القياسي ، على الرغم من الخلاف القائم في تحديد نوعه بين علماء التراث ؛ إذ لم تكن الصورة بتلك الوضوح التي خلص منها البحث في إثبات الصيغة التعجبية المترشحة عن التمثيل المعجمي في سياقه التركيبي ، أضف لها وظيفة الصيغة والحرف معاً . وتبرز أهمية البحث أيضاً في أواخره فضلاً عن سوابقه ، عبر مقارنة تُجرى بين الاستعمالين المطّردين القديم والحديث نماذج وأمثلة ، لبيان صور التطور في الحديث أو المعاصر منهما الذي يمثل أهم ثمار البحث مع تثبيت صيغة (كفى به) التعجبية . ومن الثمرات الملحقة به تباعاً ، لتضيف له أهمية أخرى ؛ أنه رصد جانباً من مظاهر تطور الفكر النحوي العربي في حدود هذه الظاهرة جاء من عرض وتحليل وموازنة ونقد وتوجيه ، بما قد يفيد المعنيين بهذا المجال مستقبلاً . إنّ هذه المعطيات بمجموعها هي ما يباشره هذا البحث في

*- ليس المعنى من المعجم المفهوم الإفرادي منه وإنما المعنى التركيبي حصراً بالمفهوم اللساني الحديث ، أي : مراعاة أثر المعجم في البناء النحوي كما سيّضح .

١- للتوسع في هذا المفهوم ينظر المعجم وعلاقته بالنحو عند د. تمام حسان ، للباحث ، مجلة مجمع اللغة العربية ، بدمشق ، المجلد (٩١) ، شوال ١٤٣٩هـ والمحرّم ١٤٤٠هـ ، تموز وتشرين الأول ٢٠١٨م ، الجزآن الثالث والرابع ، ص ٤٦١ وما بعدها .

تضاعيف سطره ، كاشفا بها عن أسرار المعنى والتركيب في (كفى) التي تجاوزت فيها أقرانها من الأفعال بل الكلمات جميعها .

المبحث الأول : كفى في دائرة التأصيل المعجمي :

أولاً- (كفى) في المعجم العربي .

إنّ حاجة البحث هنا إلى بيان المعنى المعجمي في (كفى) ملحّة جدّاً ؛ فهو - كما نوهنا - مفهوم يخرج عن الإطار الفردي النمطي ويتجاوزه إلى مدى حيوي فاعل موصول بأثر دلالي وتركيبى/ نحوي بالصورة التي ستجلى في مسار البحث لاحقاً. وكما بيّنا ؛ إنّ ذلك قد أتى لها من تنوع دلالتها وتعلقها بمسائلها تركيبياً وأسلوبياً بوصفها ظاهرة تكاد تكون نادرة في الأفعال العربية الأخرى حتى تلوّن عملها بأثر من ذلك كلّهُ . وبعدُ ؛ فمن خلال التّرحال في بطون المعاجم وكتب اللغة والنحو مضافاً إليها النصوص العربيّة الفصيحة نجد أن (كفى) بتصريفاتها العامة تأتي - غالباً - على ثلاثة معانٍ ، هي :

١- بمعنى (حسبُ) ، وهو المعنى الأصل الذي يطّرد من دلالات (كفى) معجمياً ، حتى اقتصر عليه الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) في تهذيب اللغة^(١) ، والجوهري (ت ٣٩٣ هـ) في الصحاح^(٢) ، عندما بحثا مادة هذا الفعل ومعانيه . ويؤكّد بُعد الرابطة ومتانيتها دلاليّاً ونحويّاً أي تلك القائمة بين اللفظين : (كفى ، وحسبُ) ما ورد في بعض الكتب النحويّة المتقدمة ، ككتاب (الجمل) المنسوب للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) ؛ إذ قال فيه : ((وحسبُ) مثل (كفى) إلا أنّك تخفضُ بـ (حسب) وتتصب بـ (كفى) ..)^(٣) ومضى يساوى بينهما في سائر كلامه الذي دار حول النّص أعلاه^(٤) . وتبرز هذه العلاقة أيضاً في كتاب إمام النحاة سيبويه (ت ١٨٠ هـ) ، فقد قارن المصنّف بين

١- ينظر تهذيب اللغة ، الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) ، تحقيق علي حسن هلاي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة . ١٠ / ٣٨٤ ، مادة (كفى) .

٢- ينظر صحاح اللغة ، اسماعيل بن أحمد الجوهري (ت ٣٩٣ هـ) . تحقيق أحمد عبد الغفور عطار . دار العلم للملايين ، ط٤ ، ١٩٩٠م ، بيروت - لبنان . ، ٦ / ٢٤٧٥ ، مادة (كفى) .

٣- الجمل في النحو ، الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠ هـ) ، انتشارات استقلال ، عن مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤١٠ هـ ، طهران - ناصر خسرو ، ٨٩ .

٤- ينظر السابق نفسه ، ٩٨-٩٠ .

اللفظين في زيادة (الباء) ، بما يفصح عن سمة اشتراك قائمة بينهما تقرب إلى علاقة الترادف (١) .

وتتبع ابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) في إصلاح المنطق معنى (حسب) فقال : (وتقول : حسبي من كذا وكذا ، وقد أحسبني الشيء إذا كفاك) (٢) . على أن كلمة الفصل في هذه الدعوى تظفر بموقعها في مقاييس اللغة لابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) الذي يشتق من مادة الكلمة الدلالة الأصل ثم يجري في مجاريها كما هو منهجه ؛ وفي ذلك جاء قوله : ((كفا) الكاف والفاء والحرف المعتل يدلُّ على الحسب الذي لا مستزاد فيه . ويُقال : كفاك الشيءُ يكفيك ، وقد كفى كفايةً ، إذا قامَ بالأمر . والكُفْيَةُ : القوت الكافي . ويُقال : حسبُك زيدٌ من رجلٍ ، وكافيكَ) (٣) . وكما هي العادة ، لم تكن المعاجم المتأخرة لتحديد عن نظيراتها المتقدمة في بحث معاني الألفاظ ومشتقاتها ؛ ففي معجم لسان العرب لابن منظور (ت ٧١١ هـ) - بعد أن أسهب مصنفه في بيان دلالات مادة (كفي) - تلقى معنى (الحسب) عنده من بواكير مبحثه في تلك المادة ، ومنه : (ويُقالُ : كفاك هذا الامرُ ، أي حسبُك) (٤) .

٢- يأتي بمعنى (أجزأ أو أغنى) ، وهما لفظان متقاربان في دلالتهما على الاكتفاء والعمل النحوي . ومن أوائل من أورد هذا المعنى المتأصل فيهما ابن القوطية (ت ٣٦٧ هـ) في كتابه الأفعال ، إذ قال في الأول : (جَزَأْتُ بالشيء جَزَأً : اكتفيت به ، والشيء : جعلتُ منه أجزاء ، وأجزأ الشيءُ : كفى) (٥) . أمَّا كلامه عن (أغنى) ، فقد جاء ما

١- ينظر الكتاب ، سيبويه (١٨٠ هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، ط ٣ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، القاهرة ، ٤٢/٢ .

٢- إصلاح المنطق ، ابن السكيت (٢٤٤ هـ) ، تحقيق أحمد محمد شاكر و عبد السلام هارون ، دار المعارف ، ط ٤ ، القاهرة ، ٣٤٢ .

٣- مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس (٣٩٥ هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .. ٥ / ١٨٨ ، مادة (كفا) .

٤- لسان العرب ، العلامة ابن منظور (٧١١ هـ) ، دار احياء التراث العربي ، ط ٣ ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م ، بيروت - لبنان .. ٢٥/١٥ ، مادة (كفي) .

٥- الأفعال ، ابن القوطية (٣٦٧ هـ) ، تحقيق علي فوده ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .. ٥١ .

نصّه : (.. وأغنى الشيء : كفى)^(١) . والأثر نفسه اقتفاه الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) ، فقال : (يقولون : أجزأ ، وهو عندهم بمعنى كفى)^(٢) . وعن أغنى أضاف الأزهري أيضاً : (وأما الغناء بفتح الغين والمد فهو الإجزاء والكفاية ، يُقال : رجلٌ مغنٍ ، أي مجزيءٌ كافٍ)^(٣) ، ثم إنّه جعل منه قوله تعالى : (لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُم يَوْمٌ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) [عبس : ٣٧] ، مفسراً إياه بـ (يقول : يكفيه شغل نفسه عن شغل غيره)^(٤) .

وبعدُ ؛ فقد أثبت ابن فارس (٣٩٥هـ) لكفى من المادتين دلالة الأصل فيهما ، بقوله : ((جزأ) الجيم والزاء والهمزة أصلٌ واحدٌ ، وهو الاكتفاء بالشيء)^(٥) في حين أصلُ لمادة (غنى) قائلاً فيها : (الغين والنون والحرف المعتل أصلان صحيحان ، أحدهما يدلُّ على الكفاية ، والآخر صوت)^(٦) ، وهكذا تابعت سائر المعاجم اللاحقة ما تقدم منها منها كما العرف في تأليفها^(٧) . ومن الأمثلة الشعرية التي ذُكرت في هذا الغرض ، أي كفى بمعنى أجزأ أو أغنى ، ما أورده ابن هشام (٧٦١ هـ) في المغني^(٨) من قول الشاعر :^(٩)

قَلِيلٌ مِنْكَ يَكْفِينِي وَلَكِنْ ... قَلِيلُكَ لَا يُقَالُ لَهُ قَلِيلٌ

١ - السابق نفسه ، ٢٩ .

٢ - تهذيب اللغة ، ١٤٤/١١ ، مادة (جزى) .

٣ - السابق نفسه ، ٢٠١ / ٨ ، مادة (غنى) .

٤ - السابق نفسه ، ٢٠٢ / ٨ ، مادة (غنى) .

٥ - مقاييس اللغة ، ٤٥٥/١ ، مادة (جزأ) .

٦ - السابق نفسه ، ٣٩٧/٤ .

٧ - ينظر لسان العرب ، ١/ ٤٦ مادة (جزأ) ، وينظر أيضاً ١٣٨ / ١٥ ، مادة (غنا) .

٨ ينظر مغني اللبيب ، جمال الدين ابن هشام الأنصاري (٧٦١ هـ) ، تحقيق د. مازن المبارك و محمد علي حمد الله ، مؤسسة الصانق - ناصر خسرو ، ط ٥ ، طهران ١٤٥/١ .

٩ - البيت لأبي النصر أحمد بن علي الميكالي ، في معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، ابن أحمد العباسي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، عالم الكتب ، ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م ، بيروت - لبنان . ٢٥٩ / ٣ .

٣- المعنى الثالث (وقى) على قلته , لأنه ألحق بمادة (كفى) في بعض استعمالاتها وتصريفاتها على سبيل التضمن النحوي , وهو معنى قليل ذكره أبو حيان النحوي (٧٤٥ هـ) ونسبه إلى استاذه أبي جعفر ابن الزبير (٧٠٨ هـ)^(١). وتابعه ابن هشام في المغني^(٢) , ويندر أن تجده عند غيرهما من صنّاع المعاجم أو النحاة بلّة المفسرين . وذهبا إلى أنّ هذا المعنى قد قام في آيتين من القرآن الكريم ؛ الأولى قوله تعالى : { وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ } [الأَحْزَاب : ٢٥] والآية الثانية منهما قوله تعالى : { فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ } [البقرة : ١٣٧] , ففسّر الفعلان : (كفى , وسيكفيهم) من الآيتين بمعنى (وقى) . ووافقهما الدماميني في شرحه للمغني ممثلاً له بقوله : (وقِيئُهُ الشَّرُّ , أي منعه إياه)^(٣) . وقد نظفر في اللسان بتلميح في هذا الغرض , وذلك في موضع استشهد فيه ابن منظور بحديث : (مَنْ قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه)^(٤) كفتاه^(٤) إذ تكلم بوجوه المعنى لـ (كفتاه) فجاء منها قوله : (تكفيان الشرّ وتقيان المكروه)^(٥). على أنّ أبا حيان وابن هشام عدّا الفعل المتضمن في الآيتين إلى مفعولين , في حين هو في اللسان معدّى الى مفعول واحد , وربما أضمر أحد المفعولين للاختصار , ولا يضير تقديره بـ (تكفيان القارئ الشرّ وتقيانه المكروه) , فإنّ فيه دلالة تامة تناسب سياق الحديث .

-
- ١- ينظر ارتشاف الضرب , أبو حيان الأندلسي (٧٤٥ هـ) , تحقيق د. رجب عثمان محمد , مكتبة الخانجي , ط ١ , القاهرة , ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م , ٤ / ١٧٠٠ - ١٧٠١ .
 - ٢- يُنظر المغني , ١ / ١٤٧ .
 - ٣- شرح الدماميني على المغني , محمد بن أبي بكر الدماميني (٨٢٨ هـ) , تحقيق أحمد عزو عناية , مؤسسة التاريخ العربي , ط ١ , ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م , بيروت - لبنان . ١ / ٣٩٧ .
 - ٤- أخرجه البخاري في صحيحه , دار ابن كثير , ط ١ , ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م , دمشق - بيروت . باب باب فضائل القرآن , رقم الحديث : (٥٠٠٩) , ص ١٢٨٠ .
 - ٥- لسان العرب , ١٥ / ٢٢٥ , مادة (كفى) .

المبحث الثاني : كفى في دائرة التاصيل النحوي :

أولاً - كفى فعل أم اسم فعل ؟

يُتداول في بعض المؤلفات المتأخرة أنّ هناك خلافاً بين النحاة حول (كفى) أهي فعل أم اسم فعل ؟ غير أنّك لا تجد أحداً من اللغويين الأوائل بمختلف أعمالهم يذكر مثل هذا الخلاف أو يلمح إليه ، ناهيك عن أنّهم ما كانوا يُدرجوا هذا الفعل في زمرة أسماء الأفعال ؛ فقد خلت تأليف الحُقب المتقدمة وتصانيفها اللغوية عامة وسواها من أي إشارة تذكر في ذلك . على أنّ الباحث لا يعثر بهذا الزعم والقول في الخلاف إلا في بعض كتب المتأخرين إذ دأب بعضهم يرسل الكلام في هذا الشأن على عواهنه من دون بيان أو توضيح ولو كان موجزاً ينسب فيه الخلاف إلى أصحابه من علماء لغة أو اتباع مذهب نحوي معين . وقد لُحِظ أنّ هذا القول كثيراً ما يتردد في بعض التفاسير القرآنية وأسطر من كتب أصول الفقه ابتداء من القرن الثامن الهجري وما تلاها ، ويندر ذكره في كتب النحو من تلك الحقب . وربما يكون أبو حيان الأندلسي (٧٤٥هـ) أول المتأخرين ممّن صرّح بهذا الخلاف في كلام مبسّر يخلو من تفصيل كما سبق ذكره مصححاً فيه فعليتها ؛ وجاء في ذلك قوله : (وفي (كفى) خلاف : أهي اسم ، أم فعل ؟ والصحيح أنّها فعل)^(١) . وتابعه في الرأي السبكي (٧٧١هـ) مصححاً الفعلية أيضاً ، لعلّة تنوعها في العمل بين اللزوم والتعدي لمفعول أو مفعولين لأنّ : ((كفى) فعل لا اسم فعل على الصحيح)^٢ . ويظهر من خلال التتبع أنّ الفائلين باسمية كفى هم قلة لا تكاد تذكر قد وقعت في وهم خطر لهم من قول الزجاج (٣١١هـ) الذي عدّ (كفى) في قوله تعالى : { وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا } [النساء : ٤٥] ونظائره متضمنة لمعنى (اکتفوا) أو (اکتف) ومع تأويله وتوجيهه في ذلك لكنه ما برح يحكم على

١ - يُنظر البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي (٧٥٤هـ) ، تحقيق صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، ١٤٣١-١٤٣٢هـ - ٢٠١٠م ، بيروت - لبنان ، ٣ / ٥٢٣ .

٢ - الأشباه والنظائر ، السبكي ، (٧٧١هـ) ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد عوض ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت - لبنان ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م . ٢ / ٣٧٣ .

الاسم المجرور بالباء الزائدة أنه فاعل لكفى^(١) . وكان ابن هشام (٧٦١هـ) من النحاة القلة الذين حسّنوا رأي الزجاج ذاك في تأويل فعل الامر^(٢) ؛ فظنّ أولئك القلة أنّ الزجاج وابن هشام يرجحان أن تكون (كفى) اسم فعل أمر بمعنى (اکتفِ)^(٣) ! . وأكّد الألوّسي هذا التوهّم بقوله : (وظنّ بعض الناس أنّ (كفى) على هذا القول اسم فعل أمر يخاطب به المفرد المذكّر وغيره نحو (حيّ) في حيّ على الصّلاح ، فالمعنى هنا اکتفوا بالله ، وأنت تعلم أنّ هذا بعيد الإرادة من كلام الزجاج وبأباه كلام ابن هشام)^(٤) . والسبب واضح ، لأنهما يرفعان الاسم المجرور بالباء الزائدة على الفاعلية محلاً . ويحسن أن نذكر أنّ لرأي الزجاج ذاك تفصيلاً سيأتي في محلّه من السطور اللاحقة .

وهكذا ؛ بناء على ما ثبت أنّ كفى فعل فحسب ولا أثر لاسم الفعل فيها ، عندها تنتفي الحاجة بنا إلى أن نعيد ذلك الزعم في كتاباتنا المعاصرة ، ونسوق فكرة الخلاف فيه ، وكأنّه خلاف متّصل في الفكر النحوي ، مع أنّه فرط ظنّ متعجّل ، بل وهم وقع فيه بعض المعريين المتأخرين .

ثانياً - (كفى) بين التعدي واللزوم .

لم أجد - مع كثرة تتبعي لمصادر النحو أو اللغة عامة - أحداً من علماء العربية المتقدمين يشير بلفظ صريح إلى (كفى) من جهة التعدي واللزوم ، والراجح أنّه لم يكن من ضمن أبحاث تلك الحقب المتقدمة على ما توافر لي من مصادر ، لكنّ كثر تداول هذا المبحث عند المتأخرين منهم ، ويبدو أنّهم توسعوا به من خلال فهمهم لأقوال العلماء الذين سبقوهم بما ألمحوا من ذلك ، فأضاف أولئك المتأخرون لها من تأملاتهم فيه - أعني (كفى) - لفظاً ومعنى ، بله عملاً ، بناء على ما ورثوه من أولئك السلف فضلاً عن نتائج التأمل في النصوص الفصيحة ، بما يفوق نظر من تقدمهم بحكم تطور الفكر

١ - ينظر معاني القرآن وأعرابه ، إبراهيم بن السري الزجاج (٣١١هـ) ، تحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م . ٥٧/٢ . ١٣٤ .

٢ - ينظر مغني اللبيب ، ١ / ١٤٤ .

٣ - ينظر الدرّ المصون ، السمين الحلبي (٧٥٦هـ) ، تحقيق د. أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق . ٣٢٤/٧ .

٤ - تفسير روح المعاني ، الألوّسي (١٢٧٠هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان . ٨ / ١٢ .

النحوي . وما إن شرع علماء هذه الحقب اللاحقة بالتصانيف حتى أخذت بوادر الخلاف بين رجالات النحو تدبُّ في ذلك الفعل من جهة عمله ناهيك عن مباحثه الأخرى . أمّا لزومها أو تعديتها فقد سلكوا ببابها مسالك الخلاف ؛ إذ ذهب قسم منهم بقصورها وتعديتها معاً وهم الجُمُّ الغفير ، في حين ذهب بعضهم إلى عدّها من الأفعال المتعدية وليست القاصرة وهم القلة القليلة منهم . ويبدو أنّ سبب الخلاف يعود إلى تفرّد هذا الفعل في دلالاته لأنّه (قد يأتي قاصراً مرّةً ، ومتعدّياً بنفسه إلى واحدة مرّةً ، وإلى اثنين أخرى وهو نوعٌ غريب يقلُّ نظيره)^(١) . ولزماً علينا - قبيل الخوض في أقوال المتأخرين - التنويه بأنّ مباحث أوائل النحاة كانت تنصب على فاعل (كفى) وزيادة الباء فيه ، وفي الغالب كانت شواهدهم وأمثلةهم تدور حول معنى (حسب) ، فيفهم من كلامهم أنّه - بالمعنى هذا - فعل قاصر دلّت عليه توجيهاتهم النحوية والدلالية في استعماله ذلك^(٢) . وهو ما سيظهر لنا جلياً في مبحث فاعل (كفى) عندما ننقل نصوصاً عنهم في ذلك الشأن .

١ - الأشباه والنظائر ، السبكي ، ٣٧٣ / ٢ .

٢ - يُنظر - مثلاً - الكتاب ٢ / ٢٤ ، ١٧٦ ، ٣٢٧ . ومعاني القرآن ، الفراء (٢٠٧ هـ) ، تحقيق محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي ، عالم الكتب ، ط ٣ ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، بيروت - لبنان . ٢ / ١١٩ - ١٢٠ ، وشرح كتاب سيبويه ، (٣٦٨ هـ) ، تحقيق أحمد حسن مهدي وعلي سيد علي ، دار الكتب العلميّة ، ط ١ ، ٢٠٠٨ - ١٤٢٩ هـ ، بيروت - لبنان . ٥ / ٣ ، وتهذيب اللغة ١٠ / ٣٨٤ ، والإيضاح العضدي ، أبو علي الفارسي ، (٣٧٧ هـ) ، تحقيق د. حسن شاذلي فرهود ، كلية الآداب - جامعة الرياض ، ط ١ ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٩٦ م . ٢٦٧ ، والمسائل المشكّلة ، أبو علي الفارسي (٣٧٧ هـ) ، تحقيق د. يحيى مراد ، دار الكتب العلميّة ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م ، بيروت - لبنان . ٥٢ ، ومعاني الحروف ، الرماني (٣٨٤ هـ) ، تحقيق د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، دار الشروق ، ط ٢ ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ، جدّة - المملكة العربيّة السعوديّة . ٣٧ ، وسر صناعة الإعراب ، أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢ هـ) ، تحقيق محمد حسن اسماعيل ، دار الكتب العلميّة ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ، بيروت - لبنان ١ / ١٥١ و١٤٦ .

ثالثاً- الآراء في تعدية (كفى) ولزومها .

ينكشف للباحث المتقصي المنتبغ تاريخياً لأقوال العلماء أنّ هناك قسمين من النحاة ، أضف لهم بعض اللغويين والمفسرين الذين تحدّثوا عن (كفى) باتجاهين مختلفين . القسم الأول منهما عُني بعملها لزوماً وتعدية في سياق حديثه عن فاعلها ومفعولها عند زيادة الباء فيهما ، ولكنهم لم يباشروها بالإشارة الصريحة إلى معانيها وعلاقة المعنى بالعمل ؛ كابن سيده (٤٥٨) عندما تناول مادتها ودلالاتها في استعمالها المختلفة ^(١). ومثله ابن الشَّجَرِي (ت ٥٤٢ هـ) الذي يُستدلُّ منه الأخذ بذلك المذهب عند قوله : (أنَّ { كفى } ممَّا غلب عليه زيادة الباء ، تارة مع فاعله ، وتارة مع مفعوله) ^(٢). ويُفهم أيضاً من كلام الباقولي (٥٤٣ هـ) عن (كفى) أنّه ممَّن يذهب إلى تعديتها لمفعول واحد بل إلى مفعولين أيضاً ، ويتضح ذلك في معرض تفسيره آية { وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا } [النساء: ٦] ، حيث قال : (أي : كفاك الله حسيباً ، فالكاف المفعول محذوف ، والباء زيادة ، وفاعل (كفى) لفظة (الله) ، كقوله : { فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ } [البقرة : ١٣٧] ف(كفى) فعل متعد إلى مفعولين ، والتقدير: كفاك الله شرهم وأذاهم . و(حسيباً) نصب على التمييز وقيل : على الحال) ^(٣) ، وتابعه أبو البركات ابن الأنباري (٥٧٧ هـ) في حديثه عن الآية نفسها قائلاً : (.. أي كفاك الله حسيباً . فالكاف المفعول محذوفة . والباء زائدة ..) ^(٤) . ويبلغ العكبري (٦١٦ هـ) في (كفى) فجعلها متعدية إلى مفعولين دون سواهما ، حتى في الموارد التي هي مظان اللزوم فيها ، مصرحاً بذلك عند تحليله - نحوياً- آية { وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا } [النساء: ٧٩] ، مستدلاً عليه من القرآن نفسه ، قوله : (وكفى يتعدى إلى

١- المحكم والمحيط الأعظم ، ابن سيده (٤٥٨ هـ) ، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ، بيروت - لبنان . ٣٩ / ١١٣ .

٢ - أمالي ابن الشجري ، هبة الله بن علي محمد بن حمزة الحسني العلوي (٥٤٢ هـ) ، تحقيق د. محمود محمد الطناحي ، مكتبة الخانجي ، ط١ ، القاهرة ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م . ٢٢١ .

٣ - كشف المشكلات وإيضاح المفضلات ، أبو الحسن علي بن الحسين الباقولي (٥٤٣ هـ) ، تحقيق د. محمد احمد الدالي ، مجمع اللغة العربية بدمشق ، ٢٩٠ .

٤ - البيان في غريب القرآن ، أبو البركات بن الأنباري (٥٧٧ هـ) ، تحقيق د. طه عبد الحميد طه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط١ ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م . ٢٤٣ / ١ .

مفعولين وقد حُذفا هنا ، والتقدير: كفاك الله شرهم ، ونحو ذلك ، والدليل على ذلك قوله : { فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ } ^(١) ، وعدّها ابن الحاجب (٦٤٦ هـ) من ذوات المفعول الواحد ^(٢) ، ولكنّ المالقي (٧٠٢) كان له رأي آخر أورده في بحث الباء وزيادتها في الفاعل ، ففهم من كلامه أن (كفى) تأتي قاصرة ومتعدية إلى مفعولين فحسب ، والباء عنده لا تُزاد إلا في فاعل القاصر (فإن كانت متعدية إلى مفعولين فلا تدخل الباء على فاعلها كقوله تعالى : { وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ } [الاحزاب : ٢٥] و { إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ } [الحجر : ٩٥] .. ^(٣)) وغاب عن اتباع هذا القسم العناية بالأنثر المعجمي في دلالة الفعل ، وتضمنه ما يقصره عن العمل أو يعدّيه ، فكان ذلك مدعاة لغموض كلامهم بل وقوعهم في الاضطراب حتى غاب الحسم عندهم في تثبيت عملها ودلالاتها .

أمّا القسم الثاني فهو مظانّ التصريح والتفصيل في (كفى) وعلاقة معانيها بعملها من اللزوم إلى التعدية من المفعول الواحد إلى المفعولين ، وهو موضوع بدأ يطفو على السطح مع حركة التأليف في القرن الثامن الهجري وما تلاه ، وقد ظهرت بواكيره عند أبي حيان النحوي (٧٤٥ هـ) الذي نقل نصّاً عن أستاذه أبي جعفر ابن الزبير (٧٠٨ هـ) يُفرّق بين معنيين قاما في (كفى) ، هما (حسب) و(وقى) إذ قيّد زيادة الباء التي بمعنى (حسب) ومنع زيادتها في معنى (وقى) مستشهداً بنصوص من القرآن الكريم ^(٤) . ويظهر من كلام ابن هشام الأنصاري (٧٦١هـ) في المغني أنّه ممّن يقسم (كفى) على قاصر ومتعدية لفعل ومتعدية لفاعلين بناء على معانيها فالباء تزداد في فاعلها إذا كانت

-
- ١ - إملاء ما منّ به الرحمن ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين ابن عبد الله العكبري (٦١٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت - لبنان ، . / ١٦٨ .
 - ٢ - ينظر الإيضاح في شرح المفصل ، أبو عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن حاجب النحوي (٦٤٦ هـ) ، تحقيق موسى بناي العليبي ، مطبعة العاني ، ط١ ، بغداد ، ١٩٨٢ م . ١٤٨ / ٢ .
 - ٣ - رصف المباني في شروح المعاني ، أحمد بن عبد النور المالقي (٧٠٢ هـ) ، تحقيق أحمد محمد الخراط ، مجمع اللغة العربية بدمشق . ١٤٨ .
 - ٤ - يُنظر ارتشاف الضرب ، ١٧٠٠-١٧٠١ .

بمعنى حسب وهي في الراجح هنا فعل لازم^(١) (ولا تزد الباء في فاعل كفى التي بمعنى أجزاء وأغنى ، ولا التي بمعنى وقى ، والأولى متعدية لواحد كقوله :

قَلِيلٌ مِنْكَ يَكْفِينِي وَلَكِنْ قَلِيلُكَ لَا يُقَالُ لَهُ قَلِيلٌ *

والثانية متعدية لاثنتين كقوله تعالى : { وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ } { فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ } .. (٢) . ويؤكد هذا الترتيب في معاني كفى وعملها عند ابن هشام نص نسبه السبكي (٧٧١هـ) إليه ، نجد فيه البيان والقول الفصل ، فوافقه عليه واستحسنه حتى وصفه بالمتين . غير أنه لم يُشر إلى مصدره ولم أعرث عليه في تأليف الأنصاري ، مع كونه قريباً إلى ما جاء في المغني ، ولأهمية ذلك النص وأثره في مسار البحث يحسن بنا نقله وإن طال . قال السبكي : (ثم رأيت في كلام نحويّ هذا العصر - الشيخ جمال الدين بن هشام رحمه الله تعالى - ما نصه : « كفى في العربية على ثلاثة أقسام : قاصرة ، ومتعدية لواحد ، ومتعدية لاثنتين . فالقاصرة : هي التي بمعنى حسب ، والغالب على فاعلها أن يفترن بالباء ، ونحوه { وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا } [النساء : ٤٥] ، وقد تتجرد منها كقوله (٣) :

وَيُخْبِرُنِي ، عن غَائِبِ الْمَرْءِ ، هَدِيَهُ كَفَى الْهَدْيُ ، عَمَّا غَيَّبَ الْمَرْءُ ، مُخْبِرًا
والمتعدية لواحد هي التي بمعنى قنع يقنع ، كقوله تعالى : (أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ ..) [آل عمران : ١٢٤] وقول الشاعر :

قَلِيلٌ مِنْكَ يَكْفِينِي وَلَكِنْ قَلِيلُكَ لَا يُقَالُ لَهُ قَلِيلٌ *

والمتعدية لاثنتين : هي التي بمعنى وقى نحو : (وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ) ونحو : (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ) وهاتان لا تدخل الباء على فاعلها . انتهى . وهو كلام متين لا غبار عليه .. (٤) ووافق الدماميني (٨٢٨هـ) في شرحه على المغني ابن هشام

١ - ينظر مغني اللبيب ، ١٤٤ - ١٤٥ .

* - سبق تخريجه

٢ - مغني اللبيب ١ / ١٤٥ .

٣ - البيت لزياد بن زيد العدوي ، في تهذيب اللغة ، ٦ / ٣٨١ ، مادة (هدى) .

٤ - الأشباه والنظائر ، ٢ / ٣٧٤ .

في ذلك التفصيل لمعاني (كفى) بيد أنه جعل التي بمعنى حسب هي ما تزداد بها الباء في الفاعل نقلاً عن ابن قاسم المرادي (٧٤٩)^(١) ، وأخاله يرى لزومها إذا ما جاءت على هذا المعنى ^(٢) يُستنتج ذلك من تضاعيف كلامه . والحق أن أتباع هذا القسم أحسنوا النظر في (كفى) ومعانيها وأثر دلالتها المعجمية على التركيب النحوي من جهة التعدية وللزوم ونوعي التعددي فيها ، وهو منحى يحكي أيضاً مراحل التطور في الفكر النحوي العربي .

المبحث الثالث : كفى في دائرة التركيب :

أولاً- زيادة الباء في معمول (كفى) .

يُعدُّ هذا العنوان من أوسع مسائل (كفى) عند متقدمي النحاة ومتأخريهم ، فقد حظي بعنايتهم على اختلاف مذاهبهم وآرائهم النحوية . ولا غرو أن قلنا هو المبحث الأصل فيها بحكم تقدم الكلام فيه عما أحق بمسائلها مستقبلاً . وسنرتب هذا المبحث بقسمين ؛ الأول يُعنى بزيادة الباء في الفاعل ، والثاني بزيادتها في المفعول ، متعقبين بهما أهم آراء النحاة وتوجيهاتهم فيهما .

ثانياً- زيادة الباء في فاعل (كفى)

كان باب (كفى) وفاعلها بزيادة الباء أو بغير زيادتها أصلاً لبحثها ، ثم من خلاله توسّع النحاة والمشتغلون بالبحث النحوي من المفسرين او المعجمين في فروعه الجديدة . وأقدم مصدر بين أيدينا عُني بهذا الاتجاه هو الكتاب لسيبويه (١٨٠ هـ) الذي اقتصر فيه مصنفه على زيادة الباء في فاعلها في غير موضع من كتابه . وسبق لنا التنويه بأن أوائل النحاة كانوا يعالجون مسائل (كفى) التي بمعنى (حسب) الدالة على اللزوم في الغالب ، دلّت عليه شواهدهم وأقوالهم فيها . ثم أخذ التالون منهم يبحثون في وجود الباء الزائدة ، ويتساءلون عن زيادتها أي سماعية أم قياسية ، لازمة أم غالبية أم

١ - ينظر الجنى الداني في حروف المعاني ، الحسين بن قاسم المرادي (٧٤٩هـ) ، تحقيق فخر الدين قباوه و محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م ، بيروت - لبنان ٤٩ .

٢ - ينظر شرح الدماميني على المغني ، ١ / ٣٩٤ .

جائزة ؟ وهكذا حتى تشعب الدرس فيها . ومما جاء عن سيبويه في هذا الأثر قوله : (مررتُ برجلٍ حسبكُ بهِ من رجلٍ , رفعتُ أيضاً . وزعمَ الخليلُ - رحمه الله - أنَّ (بهِ) ههنا بمنزلة (هو) , ولكنَّ هذه الباء ههنا توكيداً كما قال^(١) :

عُمَيْرَةٌ وَدَّعَ إِنْ تَجَهَّزْتَ غَادِيَا كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا

وكفى بالشيب والإسلام^(٢) . وبدا من مفهوم كلامه أنه يشير إلى جواز حذف الباء التي تأتي زائدة للتوكيد , كما ورد في الشاهد الشعري . ومن منهج صاحب الكتاب المقابلة بين الأشباه والنظائر من الاستعمال العربي الفصيح , ول(كفى) من هذا المنهج نصيبها أيضاً , كما ورد في قوله : (لأنَّ معنى ما أتاني أحدٌ وما أتاني من أحدٍ واحدٌ , ولكن من دخلت هنا توكيداً , كما تدخل الباء في قولك : كفى بالشيب والإسلام ..)^(٣) مؤكداً فيه زيادة الباء في فاعلها لغرض التوكيد . ومن المواضع التي تؤكد الزيادة في تلك الباء عنده , وفي دلالة (كفى) على معنى (الحسب) المشعر بلزوم الفعل وقصوره في العمل , موضع قارن فيه استعمال (كفى) مع نظير له يأتي للتعجب , ودفع الإبهام فيه , جاء فيه : (فكأنه قال : كفى بك فارساً , إنَّما يُريد كَفَيْتَ فارساً)^(٤)

وخلصَ الفراء (٢٠٧) من تتبع آيات القرآن إلى القول : (وكلُّ ما في القرآن من قوله : (وكفى برئكَ) و (كفى بالله) (وكفى بنفسك اليوم) فلو ألقيت الباء كان الحرف مرفوعاً , كما قال الشاعرُ :^(٥)

ويُخْبِرُنِي ، عن غَائِبِ الْمَرْءِ ، هُدْيُهُ كَفَى الْهَدْيُ ، عَمَّا غَيَّبَ الْمَرْءُ ، مُخْبِرًا)^(٦) .

١ - البيت من قصيدة لسحيمَ عبد بني الحساس من المخضرمين , في خزنة الأدب , عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٩٣هـ) , تحقيق عبد السلام محمد هارون , مطبعة المدني , ط٤ , ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م , القاهرة ١/ ٢٧٦ .

٢ - الكتاب , ٢ / ٢٦ .

٣ - السابق نفسه , ٢ / ٣١٦ .

٤ - السابق نفسه , ٢ / ١٧٥ .

٥ - البيت لزيادُ بن زيد العدويّ , في تهذيب اللغة , ٦ / ٣٨١ , مادة (هدى) .

٦ - معاني القرآن , ٢ / ٢١٩ .

عرفنا ممّا تقدّم أنّ (كفى) لها خاصة في عملها تجلّت في كونها فعلاً يتردد بين اللزوم والتعدي ، وبأنّ لنا من ذلك أيضاً ما نسبه النحاة لها من العمل تبعاً إلى معانيها ، أي بحسب ما تتضمنه من تلك المعاني ؛ فإذا ما جاء معناها على الأصل وهو (الحسب) صار الفعل قاصراً ، وهي متعدية لمفعول واحد إذا ما تضمنت الفعل أجزاً أو أغنى ، وإلى مفعولين إذا ما كانت بمعنى (وقى) . وقد حكم بعض المتأخرين - وأشهرهم ابن هشام (٧٦١هـ) - على أنّ الباء فيها لا تزد إلا في اللزوم الذي يتحقق في معنى (حسب) منها . غير أنّ المصادر كانت قد حدثتنا سلفاً عن بعض النحاة المتقدمين أضف لهم بعضاً من المتأخرين ممّن ذهبوا إلى القول بزيادتها في مفعول (كفى) وإن كانوا القلة القليلة الذين لا يتجاوزون أصابع اليد الواحدة بناء على ما توافرت للباحث من أمات مصادر . أشهر أولئك المتقدمين الكوفي أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بـ (ثعلب) (٢٩١هـ) فقد قال بدخول الباء على مفعول هذا الفعل في معرض استدلاله بقول الشاعر : (١)

فَكَفَى بِنَا فَضْلاً عَلَى مَنْ غَيْرُنَا حُبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ إِيَّانَا

وظاهر البيت يوحي بأنّ (حبُّ) فاعل ، والضمير (بنا) الذي دخلت عليه الباء مفعول به فيكون تقديره : كفانا حبُّ النبي . وحكى ثعلب عن المازني (٢٤٧هـ) كلاماً في هذا البيت قال فيه - أي المازني - : (وإنما تُزاد الباء في الفاعل ، وهو أيضاً شاذ أن تدخل الباء في الفاعل) (١) ومراده الظاهر من قوله أنه يجعل الزيادة في فاعل (كفى) من قسم المطرّد في الاستعمال والشاذ في القياس ، ولاسيما أنّها وردت زائدة بكثرة في القرآن، في ثلاثة وثلاثين موضعاً منه. وقد ردّ ثعلب كلام المازني وأخذه بالشذوذ بما حفظه عن العرب في تعدد لغاتها ووجوه استعمالاتها ، كقولهم : كفى بزيد رجلاً ، ونعم بزيد رجلاً ، ونعم زيد رجلاً . وأيضاً بما رواه الكسائي عن العرب قولهم : مررتُ بأبياتٍ

١- البيت لكعب ابن مالك الاتصاري في ديوانه ، تحقيق سامي مكي العاني ، مكتبة النهضة ، ط١ ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م ، بغداد . ص ٢٨٩ .

٢- مجالس ثعلب ، ، أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (٢٩١هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف ، مصر . ٦ / ٢٧٣ .

جَادَ بِهِنَّ أُبَيَاتًا ، وَجَادَ أُبَيَاتًا ، وَجُدْنَ أُبَيَاتًا ؛ بثلاث لغات (١) . وَعَقَّبَ ثَعْلَبٌ بَعْدَهَا بِقَوْلِهِ : (وَهَذَا كَثِيرٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ، لَا يُقَالُ : شَاذٌ) (٢) . وَكَأَنَّهُ يَرِيدُ مَقَالَةَ : أَنَّ مَنْ حَفِظَ حِجَّةَ عَلِيٍّ مَنْ لَمْ يَحْفَظْ . عَلِيُّ أَنَّ ابْنَ جَنِّي (٣٩٢ هـ) لَهُ رِوَايَةٌ أُخْرَى فِي هَذَا الْبَيْتِ الْمَتَقَدِّمِ إِذْ حَكَى عَنِ الْمَازِنِيِّ قَوْلَهُ : (إِنَّمَا تَدْخُلُ الْبَاءُ عَلَى الْفَاعِلِ ، وَهَذَا شَاذٌ ، يَرِيدُ أَنَّ مَعْنَاهَا كِفَانَا) (٣) وَأَرْدَفَ ابْنَ جَنِّي بَعْدَ هَذَا النَّصِّ مَا قَرَأَهُ عَلَى ثَعْلَبٍ مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ : (٤) :

إِذَا لَاقَيْتَ قَوْمًا فَاسْأَلِيهِمْ كَفَى قَوْمًا بِصَاحِبِهِمْ خَبِيرًا

مَعْقِبًا عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ : (وَهَذَا مِنَ الْمَقْلُوبِ . مَعْنَاهُ : كَفَى بِقَوْمٍ خَبِيرًا صَاحِبُهُمْ ، فَجَعَلَ الْبَاءَ فِي الصَّاحِبِ ، وَمَوْضِعُهَا أَنْ تَكُونَ فِي (قَوْمٍ) إِذْ هُمُ الْفَاعِلُونَ فِي الْمَعْنَى ... وَهَذَا وَاسِعٌ عَنْهُمْ جَدًّا) (٥) وَكَأَنَّهُ يَشِيرُ مِنْ طَرَفِ خَفِيِّ إِلَى أَنَّ بَيْتَ (فَكَفَى بِنَا فَضْلًا عَلَيَّ مَنْ غَيْرُنَا حُبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ إِيَّانَا) هُوَ مِنَ الْإِسْتِعْمَالِ الَّذِي اصْطَلَحَ عَلَيْهِ بِ(الْمَقْلُوبِ) قِيَاسًا عَلَى الشَّاهِدِ الشَّعْرِيِّ الْأَخِيرِ ، وَيَرْجَحُ هَذِهِ الْمَقْيَاسَةَ بِالنَّظِيرِ مَا تَكَلَّمَ بِهِ ابْنُ سَيِّدِهِ (٤٥٨ هـ) عَنْ هَذَا الْبَيْتِ أَيْضًا بِمَا اعْتَلَّ لَهُ بِقَوْلِهِ : (فَإِنَّمَا أَرَادَ : فَكِفَانَا فَادْخُلِ الْبَاءَ عَلَى الْمَفْعُولِ ، وَهَذَا شَاذٌ : إِذْ الْبَاءُ فِي مِثْلِ هَذَا إِنَّمَا تَدْخُلُ عَلَى الْفَاعِلِ كَقَوْلِكَ : كَفَى بِاللَّهِ ، وَقَوْلُهُ :

إِذَا لَاقَيْتَ قَوْمًا فَاسْأَلِيهِمْ كَفَى قَوْمًا بِصَاحِبِهِمْ خَبِيرًا *

-
- ١- ينظر مجالس ثعلب ، ٢٧٣/٦ .
 - ٢- السابق والصفحة نفسها .
 - ٣- سر صناعة الإعراب ، ١ / ١٤٦ .
 - ٤- البيت لجثامة بن قيس ، في جمهرة الأمثال ، أبو هلال العسكري (٣٩٥ هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش ، دار الجيل ، ودار الفكر ، ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، بيروت - لبنان ، ١٤٧ / ٢٠ .
 - ٥- سر صناعة الإعراب ، ١ / ١٤٧ .
 - *- سبق تخريجه .

هو من المقلوب ، ومعناه : كفى بقومٍ خبيرا صاحبُهُم فجعل الباء في الصحاب وموضعها أن تكون في قوم وهم الفاعلون في المعنى ^(١) ويُلاحظ أنّ الباء لم تدخل على المفعول إلا في الشعر ، والشعر موضع الضرورة .

ومن النحاة الذين طرّقوا هذه المسألة أيضاً ابن الشجري (٥٤٢ هـ) وكان يذهب إلى زيادة الباء في فاعل (كفى) ومفعولها . ولكنّه يرى أنّ دخولها على المفعول قليل ، وعلى الفاعل غالب وكثير ، وعدّ من شواهد زيادتها على المفعول بيت كعب بن مالك الأنصاري المذكور آنفاً ^(٢) . وشدّ ابن حاجب النحوي (٦٤٦ هـ) عندما أبان عن تلك الزيادة للباء في المرفوع ، فقال : (فهذا نادر - أي في الفاعل - وهو في كتاب الله كثير وقد زيدت في مفعول (كفى) كثير أيضاً ، كقولك : كفى به فضلاً علمهُ ، ومنه : فَكَفَى بِنَا فَضْلاً عَلَى مَنْ غَيْرُنَا) ^(٣) ولم يقل بهذه الكثرة المزعومة إلا ابن الحاجب وما مثّل له من الكلام دون الشعر من دخولها على المفعول ليس ممّا يُقام حجة لقوله ولا شاهد عليه ، إذ لم يرو أحد من المتقدمين هذه الكثرة ولم يحكوها عن العرب ، فأئى له ادّعاء هذه الكثرة المطّردة إلا أن يكون من الاستعمال المولّد أو المرتجل أو قياساً على الشاهد الشعري الذي يحتمل وجهاً آخر سيأتي بيانه . وتابعه أيضاً ابن عصفور (٦٦٩ هـ) الذي بالغ فعّد زيادة هذه الباء في المفعول من القياس مستدلاً ببيت الأنصاري المتقدم ^(٤) ، وليت شعري ماذا يريد بالقياس ؟ أهو على الكثير المطّرد ، أم هو ممّن يأخذ بالقليل أو ربّما بالشاهد الشعري الواحد ؟ . وقد نفى هذه الكثرة وزعم القياس فيها المالقي (٧٠٢ هـ) في شرحه لمعاني الباء ، فهو ابتداءً كان قد قال : (ولا تدخل هذه الباء في فاعل (كفى) إلا إذا كانت غير متعدية بمعنى (اكتفى) فإن كانت متعدية إلى مفعولين فلا تدخل الباء في فاعلها) ^(٥) وعندما جاء لموضع الزيادة في المفعول قال عنه : (.. مفعول)

١ - المحكم والمحيط الأعظم ، ٣٩ / ١١٣ . مادة (ك ف ي)

٢ - ينظر أمالي بن الشجري ، ٣ / ٢٢١ - ٢٢٢ .

٣ - الإيضاح في شرح المفصل ، ٢ / ١٤٨ .

٤ - ينظر شرح جمل الزجاجي ، ١ / ٤٩٢ . و ينظر المقرّب ، علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور (٦٦٩ هـ) ، تحقيق د. عبد الستار الجوّاري و د. عبد الله الجبوري ، ط١ ، ١٨٩٢ هـ - ١٩٧٢ م . ١٠ / ٢٠٣ .

٥ - رصف المباني في شرح حروف المعاني ، ١٤٨ .

(كفى) عند بعضهم في الضرورة كقول الشاعر : فَكَفَى بِنَا فَضْلاً عَلَى مَنْ غَيْرُنَا ...^(١) . فهو يدرج بيت الانصاري - شاهد ابن حاجب وابن عصفور - في مواضع الضرورات الشاذة التي لا يقاس عليها . ولم يكتف بذلك فحسب ، فقد أوجد وجهاً لشاهد الأنصاري ينفي محل الاستدلال به على زيادة الباء في المفعول ، حاكياً ذلك الوجه عن ابن العافية الأشبيلي (٥٨٣ هـ) وقد حسّنه المالقي . وابن العافية يجعل (الباء) في بيت الأنصاري داخلة على الفاعل ، ويجعل (حبُّ النبي) بدل اشتمال من الضمير في (بنا) رفعاً على المحل لأنه مجرور لفظاً ومرفوع محلاً . ورأى المالقي أنّ هذا الوجه الإعرابي ممّا حُمِلَ عليه قول المتنبي :^(٢)

كَفَى بِجِسْمِي نُحُولًا أَنَّنِي رَجُلٌ لَوْلَا مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرْنِي^(٣)

وتعقّب ابن الفخار (٧٥٤ هـ) ابن عصفور في زعمه باطراد الزيادة في مفعول (كفى) واستدلّاه بشاهد الأنصاري وأبان توهمه فيه ، أو ربما اعتذر له بقوله : (وإنّما قال ذلك لاعتقاده أن (حبّ) فاعل (كفى) وأنّ المجرور بالباء مفعولها ، وليس هذا مذهب المحقّقين كالأستاذ أبي الحسين * وابن الضائع ، فإنّهما قالا : إنّ (حبّ) بدل اشتمال من موضع المجرور بالباء)^(٤)

١- السابق نفسه ، ١٤٩ .

٢- ديوانه ، بشرح أبي البقاء العكبري ، (٦١٦ هـ) ، تحقيق د. عمر فاروق الطّباع ، دار الأرقم بن الأرقم ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ ، بيروت - لبنان . ٢ / ٥٢٩ .

٣ - ينظر رصف المباني في شرح حروف المعاني ، ١٤٨ .

* - هو ابن أبي الربيع الإشبيلي المتوفى (٦٨٨ هـ) .

٤- أبو عبد الله ابن الفخار وجهوده في الدراسات النحوية مع تحقيق كتابه شرح الجمل ، إعداد حماد بن محمد حامد الثمالي ، رسالة دكتوراه جامعة أم القرى - كلية اللغة العربية ، ١٤٠٩ هـ - ١٤١٠ هـ . ٢ /

وعدّ ابن هشام ورود الباء الزائدة في مفعول (كفى) من مواضع الضرورة وجعل منه الحديث: (كفى بالمرء إثمًا أن يحدث بكلّ ما سمع)^(١) ، وكذا بيت الأنصاري ؛ غير أنّه حكى الوجه الآخر الذي ينفي زيادتها في الفاعل في هذا البيت آخذاً برأي ابن العافية ، بجعله الاسم المرفوع بدل اشمال للضمير الفاعل المجرور بالزائدة ، وحُمِلَ عليه أيضاً بيت المتنبي أعلاه^(٢) . ولا بأس أيضاً أن يُحمَل الحديث الشريف عليه ، من كون الباء الزائدة تدخل على الفاعل ، لأنّه المطرد في الاستعمال ، والقليل أن تدخل هذه الباء على المفعول ، ولم ترد إلا في الشعر الذي هو موطن الضرورات .

المبحث الرابع : كفى في دائرة الرأي والتوجيه :

أولاً - رأي الزجّاج :

أفردنا رأي الزجّاج (٣١١هـ) في هذه المسألة لأهميته فقد شغل رأيه أذهان اللغويين عامة والنحويين خاصة كما سنفرد رأي ابن السرج (٣١٦هـ) لاحقاً ، لأهميته أيضاً . والزجّاج كان ممّن يذهب إلى أنّ فاعل (كفى) هو الاسم المجرور بالحرف الزائد للتوكيد ، ولم تحضر عنده من معانيها إلاّ التي بمعنى (حسب) فيما يظهر من كلامه ؛ وماهي إذاً إلاّ فعل لازم عطفاً على معناها . غير أنّه أضاف تفسيراً جديداً لها شغل به تفكير النحاة بعده ، حتى توهم بعضهم فظنّ أنّ (كفى) قد تكون اسم فعل - كما سبق التنويه به - ناهيك عمّن حكم على رأيه بالفساد ! . وأتى ذلك التفسير ابن السراج من تعليقه سبب وجود الباء الزائدة بقوله : (إلاّ أنّ الباء دخلت في اسم الفاعل ، لأنّ معنى الكلام الأمر ، المعنى اكنفوا بالله)^(٣) وأكّد هذا القول أيضاً في موضع آخر من كتابه في بيان معنى الآية (وكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا) [النساء : ١٦٦] وإعرابها مصرحاً بأنّ (معناه : وكفى بالله شهيداً ، والباء دخلت مؤكدة ، المعنى اكنفوا بالله في شهادته)^(٤) . فهو يفرّق

١- ورد الحديث في سنن أبي داود ، الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (٢٧٥هـ) ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، دار الرسالة ، ط١ ، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م ، دمشق - الحجاز . كتاب الأدب - باب الكذب ، رقم الحديث (٤٩٩٢) ٣٤٤/٧ .

٢- ينظر مغني اللبيب ، ١ / ١٤٨ .

٣- معاني القرآن وإعرابه ، الزجّاج ، ٥٧/٢ .

٤- السابق نفسه ، ٢ / ١٣٤ .

بين الإعراب والمعنى أو إذا جاز لنا القول إنّه يميز بين نحو التركيب ونحو المعنى ، وليس أدلّ عليه من عدّه الفاعل الاسم المجرور في الإعراب النحوي الشكلي ، أمّا معناه - أعني دلالته على الأمر - فيفسره سياق الآية . ولمّا كان الخطاب القرآني خطاباً توجيهياً إرشادياً أو تعليمياً جاز له تقدير (كفى الله) بـ (اکتفوا بالله) أي بما ظاهره خبر ، وهو متضمّن لمعنى الأمر .

تعبّ النحاة قول الزجاج أعلاه وانقسموا فيه على فرقتين ؛ الأولى فطنت إلى مغزى المراد من بيانه ووضعوه في المحل الذي يناسبه ؛ أمّا الثانية فقد وجّهوا سهام نقدهم له واصفیه بالفساد أو التهافت ، لأنهم فهموا من كلامه أثراً إعرابياً نحويّاً وحكّموه بناء على أصول صناعتهم . ومن الذين أنصفوا الزجاج وجّهوا رأيه الوجهة الصحيحة حتى أخذوا به ، ابن عطية الأندلسي (٥٤١هـ) في تفسيره وقيله : (و بالله) في قوله : (كفى بالله) في موضع رفع ، بتقدير زيادة الخافض ، وفائدة زيادته تبين معنى الأمر في لفظ الخبر ، أي : اکتفوا بالله ، فالباء تدلّ على المراد من ذلك (١) . ومثله ابن الشجري (٥٤٢هـ) الذي فسّر ذلك حملاً على المعنى ، من قوله : (وإنما زيدت الباء في نحو (كفى الله) حملاً على معناه ، إذ كان بمعنى اکتف بالله ، ونظيره قولهم : حسبك بزيد ، زادوا الباء في خبر (حسبك) لما دخله معنى اکتف (٢) . وأكّد السهيلي (٥٨١هـ) ما فسّره ابن الشجري من رأي الزجاج ببيان قريب بل مواطئ له ، معللاً وجود الباء في الفاعل بالقول : (فالباء متعلقة بما تضمنه الخبر من معنى الأمر بالاكتفاء ، لأنك إذا قلت : (كفى الله) أو (كفاك زيد) فإنما تريد أن يكتفي هو به فصار اللفظ لفظ الخبر والمعنى معنى الأمر فدخلت الباء لهذا ، فليست زائدة في الحقيقة إنّما هي كقولك : حسبك بزيد ..) (٣) .

١- المحرر الوجيز ، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (٥٤١هـ) ، تحقيق الرحالة الفاروق وآخرون ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ط ٢ ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م ، النوحة - قطر . ٥٧١-٥٧٠/٥ .

٢ - أمالي ابن الشجري ، ٣ / ٢٢٢ .

٣ - نتائج الفكر السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (٥٨١هـ) ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، بيروت - لبنان . ٢٧٣ .

وفي نصي ابن الشجري والسهيلي المتقدمين التفاتة لطيفة يمكن لنا تحليله بالاستعانة بالمنهج التوليدي التحويلي ما يربح قول الزجاج وبعضه ، بانث من خلال مقايسته بالمعنى بين جملتين ؛ إحداهما فعلية والثانية اسمية . والجامع بينهما بنية دلالية عميقة مدخلها تركيب ذو وسمين متداخلين معجمي ونحوي على السواء ؛ المعجمي منهما ، تبرزه علاقة الاشتراك بين لفظي (كفى) و (حسب) التي قاربناها إلى علاقة الترادف ؛ والنحوي منهما ، يُبنى من اشتراكهما في الدلالة بما أفضى إلى زيادة الباء الدالة على التوكيد ، لأنهما - دلاليًا - في بنيتهما العميقة أمر والباء في الفاعل ليست بزائدة على الأصل ، ولكن بأثر التحويل ظهر في البنية السطحية على صورة الخبر ، وهكذا فسّر به زيادة الباء من تقدير فعل الأمر في الجملتين .

وفي المسار عينه اعتلّ العكبري (٦١٦) بعلّة الزجاج في زيادة الباء في الفاعل ، وأرسل القول فيه نفسه دون نسبته إلى صاحبه ^(١) . ومن قبل السهيلي ، صوّب أبو الحسن الباقولي (٥٤٣ هـ) رأي الزجاج مرجحاً إياه على قول ابن السراج (٣١٦ هـ) الذي سيأتي تفصيله ^(٢) . ومن النحاة البارزين الذين فهموا مغزى تلك المقالة ابن هشام الأنصاري (٧٦١ هـ) فقد حكى هذا الرأي فحسّنه ، في قوله : (وقال الزجاج دخلت لتضمن (كفى) معنى (اكتف) ، وهو من الحسن بمكان) ^(٣) ثم صحّحه بشواهد من الفصيح العربي ^(٤) .

أمّا المعترضون على رأي الزجاج فهم القلة القليلة ، ولم تسلم حجتهم من الوهن ، لأنهم تحمّلوا من الفهم ما لا يطيقه القول ؛ ومن أولئك أبو حيان (٧٤٥ هـ) الذي زعم أنّ في قول الزجاج تناقضاً (لأنّ الأمر يقتضي أن يكون فاعله هم المخاطبون ، ويكون بالله متعلّقاً به ، وكون الباء دخلت في الفاعل يقتضي أن يكون الفاعل هو الله لا المخاطبون

١ - املاء ما منّ به الرحمن ، ١٦٨ .

٢ - ينظر كشف المشكلات وإيضاح المعضلات ، ١ / ٥٤٣ .

٣ - المغني ، ١ / ١٤٤ .

٤ - ينظر السابق والصفحة نفسها .

(^١) ومع أنّ تعليقه في ظاهر الكلام يوافق العقل والصناعة معاً ، لكنّه غاب عنه أنّ مراد الزّجاج غير ما توهمه بما أوضحناه سلفاً . ووقع في هذا الفهم أيضاً السمين الحلبي (٧٥٦هـ) معترضاً على قول الزّجاج بلفظ أبي حيان (^٢) ، ومثله الشيخ ياسين الحمصي (١٠٦١هـ) في حواشيه على التصريح ، فقد نقل عنه الآلوسي ما نصّه : (أقول : تفسير (كفى) على هذا باكتفٍ غير صحيح إذ فاعل (كفى) حينئذٍ ضمير المخاطب ، و(كفى) ماضٍ وهو لا يرفع ضمير المخاطب المستتر !) (^٣) . وعبارته : (كفى) ماضٍ وهو لا يرفع ضمير المخاطب المستتر (قصد بها أن الفعل الماضي لا يرفع ضميراً مستتراً غائباً وإن دلّ على الأمر ولكن الرضي (٦٤٦هـ) يرى خلاف ذلك ، إذ تعقّب قول من ذهب إلى أنّ صيغة التعجب (أفعلُ بهِ) بقوله : (وضَعَفَ قوله : بأنّ الأمر بمعنى الماضي ممّا لم يُعهد ، بل جاء الماضي بمعنى الأمر ..) (^٤) وفي قول الرضي ما يدعونا إلى التفريق بين نحو الشكل ونحو المعنى بما أوضحناه - بدءاً - وفسرنا به مذهب الزجاج وغرضه الذي ينزوي عن هذا التوهم في مغزى رأيه .

ثانياً- رأي ابن السراج

وجاء ابن السراج (٣١٦هـ) برأيٍ تفرّد به ، فضمّه إلى رأيه المصحّح بزيادة الباء في الفاعل ، أثار به جدلاً في كتابات من جاء بعده ، حتى ألزمه به من بعضهم به بوصفه قولاً واحداً له ، مع أنّه لما يزل يُحرّر الإثبات بفاعلية الاسم المجرور بالباء الزائدة لفظاً والمرفوع محلاً في مواضع عديدة من كتابه الاصول ، منها ما تحدث به عن زيادة الباء ، في نصّه : (.. وجاءت زائدة في قولك : حسبك بزيدٍ (وكفى باللهِ) إنّما هو كفى الله) (^٥) ومنه أيضاً : (.. وكذلك كفى باللهِ ، إنّما هو : كفى الله ، فعلى ذا تقول :

١ - البحر المحيط ، ٦٥٩ / ٣ .

٢ - ينظر تفسير الدر المصون ، ٥٨٧ / ٧ .

٣ - تفسير روح المعاني ، ٨ / ٢١ .

٤ - شرح الرضي على الكافية ، رضي الدين الأسترابادي (٦٤٦هـ) ، مؤسسة التأريخ العربي ، ط ١ ، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م ، بيروت - لبنان . ١٩١ / ٤ .

٥ - الاصول ، أبو بكر محمد بن سهل ابن السراج ، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، ط ٣ ، بيروت - لبنان ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م . ١٩٣ / ١ .

كفى بزيد ، وعمرو^(١) ويضاف لما سبق أيضا بيانه حكم الاسم المجرور من صيغة التعجب نحو : (أكرم بعمر) مبيّنًا ذلك بما نصّه : (فقوله بعمر في موضع رفع ، كما قالوا : كفى بالله ، والمعنى : كفى الله ، لأنّه لا فعل إلا بفاعل)^(٢)

أما الرأي الذي أثار نقاشاً وجدلاً بين المشتغلين بالنحو والمتعرضين له في غير كتب النحو فقد أتى في موضع واحد يتيم من كتاب الأصول ؛ قال فيه : (وقولهم : (كفى بالله) ، قال سيبويه : إنّما هو (كفى الله) والباء زائدة ، والقياس يوجب أن يكون التأويل (كفى كفايتي بالله) فحذف المصدر لدلالة الفعل عليه وهذا في العربية موجود^(٣) . وظاهر النص يوحي أن لا تكون الباء زائدة والفاعل ضمير مستتر تقديره المصدر من لفظ الفعل وهو متعلق حرف الجر ، وإذا ما وزنا بين قوله الأول الذي تكرر مضمونه في غير موضع من كتابه مع هذا الرأي الأخير الذي يرجعه إلى القياس من الاستعمال الفصيح ، فإنّ ترجيح الأول منهما - مذهباً له باتاً - أمر منطقي دلّ عليه كثرة التصريح به عنده ، وحرّيّ بنا أن نبحث عن توجيه دلالي لنصه الأخير لا يستلزم أثراً عاملياً نحوياً ، واللائق به هو حملُه على التفسير بالمعنى من غير عمل في النحو حتى لا يقع التهافت في كلام عالم كبير وفطن مثل ابن السراج .

وإني لأعجب ممّن نسب لابن السراج هذا الرأي الأخير من النحاة وسواهم دون تثبّت أو توجيه له منصف ، وتغافل في الوقت نفسه عن ذكر الرأي الأول المشهور الذي تكرر عنده ، ليتعقّب مضجعاً له وواسماً إياه بالقبح ! كما فعل الرماني (٣٨٤هـ) في حديثه عن زيادة الباء في الفاعل من قوله تعالى : { كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً } ، فقد قال في ذلك : (وقال ابن السراج ليست بزائدة ، والتقدير كفى الاكتفاء بالله ، وهذا التقدير فيه بُعد لقبح حذف الفاعل ، ولأنّ الاستعمال يدلُّ على خلافه)^(٤) برواية (كفى الاكتفاء) . وكذا ، حكى عنه ابن جنّي (٣٩٢هـ) هذا الرأي أيضا وجعله ممّا أجازه ابن السراج غير أنّه عرض عن حكاية رأيه الأول كما فعل سلفه الرماني ، لكنه خطا به خطوة تقرب إلى الانصاف

١ - السابق ، ٢ / ٦٣ - ٦٤ .

٢ - السابق نفسه ، ١ / ١٠١ .

٣ - السابق نفسه ، ٢ / ٢٥٩ - ٢٦٠ .

٤ - معاني الحروف ، ٣٧ .

هوناً ما ؛ فبينما هو يضعفه من جهة العمل النحوي ، إذ يحسنه من جهة الدلالة ، ما يعضد رؤية الباحث في توجيهه الدلالي له سلفاً ، فيسقط دعوى العمل النحوي منه. وقبيل نسخ ما تكلم به ابن جني ، يحسن التذكير بأن نصه الآتي من الأهمية بمكان ، ففيه علامة بارزة أيضاً على مسار التفكير النحوي . قال أبو الفتح : (وأجاز أبو بكر محمد بن السري أن يكون قولهم : (كفى الله) تقديره : كفى اكتفاؤك بالله ، أي اكتفاؤك بالله يكفيك ، وهو يضعف عندي ، لأنّ الباء على هذا متعلقة بمصدر محذوف ، وهو الاكتفاء ، ومحال حذف الموصول وتبقيته صلته ، وإنما حسنه عندي قليلاً لأنك ذكرت (كفى) فدلّ على الاكتفاء لأنّه من لفظه ..)^(١) ورواية (كفى اكتفاؤك) . وتابع ابن سيده (٤٥٨ هـ) أبو الفتح ، بل نقل عنه كلامه بلفظه ومعناه وتضعيفه وتحسينه^(٢) . وأرسل العكبري (٦١٦ هـ) هذا الرأي ولم ينسبه لابن السراج^(٣) ومثله فعل الموصلي (٦٩٦ هـ)^(٤) . وحكى عنه النيلي (د . ت) أحد علماء القرن السابع الهجري بلفظ ابن جني أيضاً^(٥) غير أنّ أبا حيان (٧٤٥ هـ) نسب لابن السراج جواز القولين معاً ، وقال في ذلك : (وأجاز وجهاً آخر ، وهو أن يكون فاعل (كفى) ضميراً يعود على المصدر المفهوم من (كفى) كأنه قال : كفى هو أي : الاكتفاء بالله ، والباء ليست زائدة)^(٦) لكن ابن قاسم المرادي (٧٤٩ هـ) قيّد القول بالحذف لفاعل (كفى) بالتّي تتضمن معنى (حسب) وأخذ بتضعيف ابن جني له حاكياً ذلك عنه^(٧) . وكذا تابعهم ابن هشام الأنصاري

١ - سر صناعة الإعراب ، ١ / ١٥٢ .

٢ - ينظر المحكم والمحيط الأعظم ، ٣٩ / ١١٤ . مادة (ك ف ي) .

٣ - ينظر إملاء ما من به الرحمن ، ١٦٨ .

٤ - ينظر شرح ألفية ابن معط ، بدر الدين محمد بن يعقوب المعروف بابن النحوية (٧١٨ هـ) ، دراسة وتحقيق عبد الله بن فهد بن عبد الله البقمي ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى - كلية اللغة العربية ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م ، ٣٩٦ / ١ .

٥ - ينظر الصفوة الصافية في شرح الدرّة الألفية ، تقي الدين إبراهيم بن الحسين المعروف بالنيلي من علماء القرن السابع الهجري ، تحقيق محسن بن سالم العميري ، جامعة أم القرى ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ . ٢ / ٢٩٨ .

٦ - ارتشاف الضرب ، ٤ / ١٧٠٠ .

٧ - ينظر الجني الداني ، ٤٩ - ٥٠ .

(٧٦١هـ) قائلاً : (وقال ابن السراج : الفاعل ضمير الاكتفاء , وصحة قوله موقوفة على جواز تعلّق الجار بضمير المصدر)^(١) . وأشركَ ناظر الجيش (٧٧٨هـ) ابن عصفور مع ابن السراج في هذا الوجه^(٢) , مع أنّ ابن عصفور كان ناقلاً له وليس قائلاً به !. وهكذا صار هذا الرأي مثار جدل عند من ذكرنا وغيرهم^(٣) وحُمِّل نصّ ابن السراج من التوجيه النحوي بما لا يعين عليه مضمونه فضلاً عن غياب التثبيت في رواية النص والحكاية عن صاحبه .

ثالثاً - رأي النحاة الآخرين .

ومن أساطين النحاة الذين أكدوا زيادة الباء في فاعل (كفى) أبو علي الفارسي (٣٧٧هـ) مصرحاً بما يأتي : (وقد جاء الباء مع اسم الفاعل بعينه , مرفوعاً في قوله تعالى { وكفى بالله شهيداً } [النساء : ٧٩])^(٤) وجعل الرّماني (٣٨٤ هـ) الآية السابقة من مواضع زيادة الباء في الفاعل^(٥) . وقال ابن جني (٣٩٢هـ) عن حرف الجر الجر الباء : (وأما زيادتها في الفاعل فنحو قولهم : كفى بالله , وقوله عزّ اسمه : { وكفى بنا حاسبين } [الانبياء : ٤٧] , إنّما هو كفى الله , وكفيّنا)^(٦) , مستدلاً عليه بقول سُحيم : (كفى الشيبُ والإسلامُ للمرء ناهياً)^(٧) . وحطّب ابن سيده في حبل ابن جني ناسخاً لفظه المتقدم ومعناه لكنّه لم يرجعه لأبي الفتح^(٨) . وعَلَّ عبد القاهر

١- المغني , ١ / ١٤٤ .

٢- ينظر تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد , محب الدين محمد بن يوسف بن أحمد المعروف بناظر الجيش (٧٧٨هـ) , تحقيق علي محمد فاخر وآخرون , دار السلام , ط١ , ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م , مصر - القاهرة - الاسكندرية . ٢٩٥١/٦ .

٣- ينظر مثلاً , شرح الدماميني على المغني ١/٣٩٥ , وشرح قواعد لابن هشام , محمد بن مصطفى القوجوي : (شيخ زاده) (٩٥٠هـ) , تحقيق اسماعيل مروة , دار الفكر المعاصر , بيروت - لبنان / دار الفكر , دمشق - سورية . ٦٤ , وينظر تفسير روح المعاني , للآلوسي ١٢ / ٨ .

٤- المسائل المشكّلة , ٥٢ . وينظر أيضاً كتابه الإيضاح العضدي ٢٩ و ٢٦٧ .

٥- ينظر معاني القرآن وإعرابه , ٣٧ .

٦- سر صناعة الإعراب , ١ / ١٥١ .

٧- ينظر السابق والصفحة نفسها .

٨- ينظر المحكم والمحيط الأعظم , ٣٩ / ١٣٣ , مادة (ك ف ي)

الجرجاني (٤٧١ هـ) وجود الباء في فاعل كفى لإزالة الإضمار عن الفعل بظهوره على صورة المجرور لزيادة الباء فيه ^(١) . ورأى ابن الشجري (٥٤٢ هـ) أن زيادة الباء هنا زيادة غالبية ، في مقابل الزيادة المزعومة عنده في مفعول (كفى) على قلتها بحسب قوله ^(٢) . وذهب الباقرلي (٥٤٣ هـ) إلى هذه الزيادة أيضاً - أعني بالفاعل - مع أنه ممن يقول بتعدية (كفى) غير قصورها ^(٣) . وضارعه في القول نفسه أبو البركات ابن ابن الأتباري (٥٧٧ هـ) ذاهباً إلى تعديتها وزيادة الباء في فاعلها في التعدية ^(٤) . وحقق السهيلي (٥٨١ هـ) تلك الزيادة في فاعل ذلك الفعل معللاً إياها ^(٥) . وبادر العكبري (٦١٦ هـ) بالزيادة للجار في الفاعل مفسراً تلك الزيادة بما ذكره الزجاج من دلالة الفعل على الأمر، مثبتاً إياها في ظاهر كلامه على الرغم من حكايته - تبعاً - رأي ابن السراج في إضمار الفاعل (الاكتفاء) بالفهم الذي ينفي زيادة حرف الباء ^(٦) . وقال ابن ابن حاجب النحوي (٦٤٦ هـ) عن زيادة الباء (.. في المرفوع ، وفي قوله : { كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً } ، فهذا نادر ، وهو في كتاب الله كثير) ^(٧) أي إنها قليلة في كلام العرب كثيرة في التنزيل . وعدّ ابن عصفور (٦٦٩ هـ) زيادة الباء في فاعل (كفى) زيادة قياسية ^(٨) . وتابع الموصلي (٦٩٦ هـ) من تقدمه في شرحه منظومة ابن معط مؤكداً تلك الزيادة في ذلك الفاعل ^(٩) . وكذا المالقي (٧٠٢ هـ) إذ قال بزياتها ، وهي لا تزداد عنده في الفاعل (إلا إذا كانت غير متعدية ، بمعنى (اكتفى)) ^(١٠) ، وهي التي بمعنى

- ١ - ينظر المقتصد في شرح الإيضاح ، عبد القاهر الجرجاني ، (٤٧١ هـ) ، تحقيق كاظم بحر المرجان ، وزارة الثقافة والإعلام ، ١٩٨٢ م ، الجمهورية العراقية . ٣٩٥ - ٣٩٦ .
- ٢ - ينظر أمالي ابن الشجري ، ٢٢٢ .
- ٣ - ينظر كشف المشكلات ، ٢٨٩ - ٢٩٠ .
- ٤ - ينظر البيان في غريب القرآن ، ٢٤٣ / ١ .
- ٥ - ينظر نتائج الفكر ، ٢٧٣ .
- ٦ - ينظر إملاء ما من به الرحمن ، ١ / ١٦٨ .
- ٧ - الإيضاح في شرح المفصل ، ١٤٨ / ٢ .
- ٨ - شرح جمل الزجاجي ، ١ / ٤٩٢ .
- ٩ - شرح ألفية ابن معط ، ١ / ٣٩٦ .
- ١٠ - رصف المباني في شروح حروف المعاني ، ١٤٨ .

حسب على الأرجح . وأغنى أبو حيان (٧٤٥هـ) الكلام في (كفى) واستعمالاتها وحكى الزيادة بما نقل عن سيبويه , ولم يتعقبه بما يفضي إلى قبوله به وأخذه ^(١) . ونسب المرادي (٧٤٩ هـ) زيادة الباء في الفاعل إلى سيبويه وجمهور البصريين ^(٢) . وعدّها ابن هشام (٧٦١هـ) من قسم الزيادة الغالبة في قسيمة للواجبة والضرورة ^(٣) . وصنّف ابن عقيل (٧٦٩ هـ) فاعل (كفى) من شواهد الفاعل المرفوع بالمسند (حكماً) في شرحه عبارة المصنّف ابن مالك (٦٧٢ هـ) في التسهيل ^(٤) وأخذ بهذا الرأي المعروف بناظر الجيش (٧٧٨هـ) ^(٥) , والشاطبي (٧٩٠هـ) في المقاصد , وعدّها زيادة قياسية ^(٦) . وهكذا تباعا أخذوا سائر المتأخرين بمقالة المتقدمين ولم يدلوا بغيره بل وردوا شريعتهم وسقوا بسقائهم , ولم يبق إلا نزر يسير من المتقدمين الذاهبين إلى زيادة الباء في مفعول (كفى) المتعدية وهو محل الحديث في السطور اللاحقة .

المبحث الخامس : كفى في دائرة التأصيل البلاغي :

أولاً- كفى بين الخبر والإنشاء :

عُني اللغويون العرب بالكلام ومفهومه وأقسامه ؛ فاشتروا فيه التركيب ذو الفائدة التي يحسن السكوت عليها . وبناء على فهمهم العميق له قسّموه على قسمين كبيرين هما : الخبر والإنشاء . وتقوم هذه القسمة عندهم على معيار الكلام ونسبته في الخارج وجوداً وعدمًا , وعللّ القزويني (٧٣٩ هـ) دواعيها بقوله : (ووجه الحصر أنّ الكلام إمّا خبرٌ أو إنشَاء ، لأنّه إمّا أن

١ - ينظر ارتشاف الضرب , ١٧٠٠ . وينظر أيضا تفسير البحر المحيط لأبي حيان , ٣ / ٥٢٣ .

٢- ينظر الجنى الداني في حروف المعاني , ٤٧ .

٣ - ينظر مغني اللبيب , ١ / ١٤٤ .

٤ - المساعد على التسهيل الفوائد , بهاء الدين بن عقيل (٧٦٩ هـ) , تحقيق محمد كامل بركات , دار الفكر , ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م , دمشق ١ / ٣٨٦ .

٥ - ينظر تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد , ٦ / ٢٩٥١ .

٦- ينظر المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية , أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي (٧٩٠هـ) تحقيق د. عياد ابن عيد النّبتي , جامعة أم القرى ط١ , ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م , مكة المكرمة . ٢ / ٢٤١ .

يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه ، أو لا يكون لها خارج . الأول الخبر ، والثاني الإنشاء^(١) . وأفاض سعد الدين التفتازاني في بيان العلاقة القائمة بين لفظ المتكلم وتحديدته من هذين القسمين الكبيرين قائلاً : (وتحقيق ذلك ؛ أنّ الكلام إما أن تكون نسبته بحيث تحصل من اللفظ ويكون اللفظ موجداً لها من غير قصد إلى كونه دالاً على نسبة حاصلة في الواقع بين الشئيين وهو الإنشاء . أو تكون نسبته بحيث يقصد أنّ لها نسبة خارجية تطابقه أو لا تطابقه وهو الخبر)^(٢) . وخلصوا من ذلك كله ، أنّ الخبر كلّ كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته ، والإنشاء هو ما لا يحتمل الصدق والكذب لذاته^(٣) .

ومضمون الخبر والإنشاء في (كفى) كان من المسائل التي حظيت بها مباحثها في حدود صيغة خاصة من استعمالاتها السماعية دون القياسية ، إغناء لخصائصها وإشعاراً بتنوّع تعبيراتها دلالة وتركيباً ، لكونها - كما قلنا - ظاهرة يندرانُ تظفر بمثلاتها في الأفعال العربية . وبالرغم من غياب التصريح في كتب النحاة المتقدمين فإنّك لا تعدم التلميح به ، حتى أخذت هذه المسألة تبرز شيئاً فشيئاً في مصادر المتأخرين وإن أغفل بعضهم هذا المعنى في كتبهم .

وبدا من أقوالهم ، أنّ (كفى) يُحكّم عليها خبراً كانت أو إنشاء ، استناداً إلى وجود الباء ، حرفاً زائداً في فاعلها وعدمه . فإذا ما وجدت هذه الباء كانت إلى الإفصاح بها أبين ، منها إذا ما حُذفت ، لأنّها ستكون بالخبر ألصق . ونلمح ذلك التلميح بالإشارة إلى

١ - الايضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني (٧٢٩هـ) ، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، ط٢ ، بيروت ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

٢ - شروح التلخيص : (وتضمن مختصر السعد التفتازاني ، مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي ، عروس الأفراح السبكي ، الايضاح للقزويني ، حاشية الدسوقي) دار الكتب العلمية ، لبنان - بيروت . ٥٦-٥٥/١ .

٣ - ينظر مفتاح العلوم ، أبو يعقوب يوسف بن محمد علي السكاكي (٦٢٦هـ) ، تحقيق نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، بيروت - لبنان . ١٦٥ . وينظر أيضاً البلاغة والتطبيق ، د. أحمد مطلوب و د. كامل حسن ، مطابع بيروت الحديثة ، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م ، بيروت - لبنان . ١٠٥ و ١٢٠ .

التعجب عند سيبويه (١٨٠هـ) في قوله : (..أنتك إذا قلت : ويحَه ! فقد تعجبت وأبهمت ، من أي أمور الرجل تعجبت ، وأي الأنواع تعجبت ، فإذا قلت : فارساً و حافظاً ، فقد اختصت ولم تُبهم وبيّنت في أي نوع هو . ومثل ذلك قول عباس بن مرداس : (١٨٠هـ) :

ومرّة يحميهم إذا ما تبدّوا ويطعنهم شزراً فأبرحت فارساً

فكأنته قال : فكفى بك فارساً ، وإثما يريد : كفيت فارساً ، ودخلته الباء توكيداً (١) .
وعلق السيرافي (٣٦٨هـ) على نص سيبويه هذا شارحاً إياه ، وجاء منه : (فإذا قيل : أبرحت فارساً فقد تعجبت من فروسيته ، وأتته أنتي فيها بما لم يأت به غيره . كما قيل : كفى بالله شهيداً ! وكفى به واعظاً ! ومعناه : كفى الله ، وكفى الشيب ، وعلى هذا تقول : كفى بك فارساً وكفيت فارساً ، وهو مثل : أبرحت فارساً (٢) .

ونبه الفراء (٢٠٧هـ) على وظيفة الباء في فاعل (كفى) التي تصير دلالة الفعل على إنشاء المدح أو الذم ، فقد عقب - في سياق بيانه النحوي للآيات القرآنية التي وردت فيها (كفى) بفاعل مقترن بالباء - قائلاً : (وَإِنَّمَا يَجُورُ دُخُولُ الْبَاءِ فِي الْمَرْفُوعِ إِذَا كَانَ يُمدَحُ بِهِ صَاحِبُهُ أَوْ يُذَمُّ ؛ أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ : كَفَاكَ بِهِ ، وَنَهَاكَ بِهِ ، وَأَكْرَمَ بِهِ رَجُلًا ، وَيُسُّ بِهِ رَجُلًا ، وَنَعَمَ بِهِ رَجُلًا ، وَطَابَ بِطَعَامِكَ طَعَامًا ، وَجَادَ بِثَوْبِكَ وَلَمْ يَكُنْ مَدْحًا أَوْ ذَمًّا لَمْ يَجُزْ دُخُولُهَا) (٣) . لكنه أعرض عن التصريح بدلالة هذا الاستعمال على التعجب ، سوى هذه الإشارة في هذا النص المتقدم بذكر معنيي المدح والذم . غير أن الطبري (٣١٠هـ) كان أكثر وضوحاً حين حكى عن نحوي البصرة قولهم : (فأما :) (وكفى بالله) فهذه لم تدخل إلا لمعنى صحيح ، وهي للتعجب (٤) . وهو نص مهم يثبت لنا أن فكرة الإنشاء للتعجب كانت حاضرة في أذهان النحاة المتقدمين .

١ - الكتاب ، ٢ / ١٧٤-١٧٥ .

٢ - شرح كتاب سيبويه ، السيرافي ، ٣ / ٥ .

٣ - معاني القرآن ، ٢ / ١١٩ .

٤ - جامع البيان من تأويل آي القرآن ، ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ) ، تحقيق محمود

محمد شاكر ، مكتبة ابن تيمية ، ط٢ ، القاهرة . ١٧٥ / ٢١٠

وألمح من هذا المعنى أيضاً ابن السراج (٣١٦) مقتصراً في ذلك على الآتي : (أمّا قولك : حسبك به ، كلامٌ صحيح كما تقول : كفايتك به ، وفيه معنى الأمر أو التعجب^(١)) وعطفاً على العلاقة الوطيدة بين الحسب والكفاية معجماً جاز تعدية الحكم فيه إلى صيغة (كفى به) ، تبعاً إلى المعنى المشترك بينهما .

وإذا ما تقدمنا في العصور القرون اللاحقة فسنشهد تطوراً في هذا الصدد ، يتبين من عملية الربط التي فطن لها عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) بين زيادة حرف الجر ودلالة التعجب ، في إشارة منه إلى المعنى الوظيفي لذلك الحرف . وجاء هذا المفهوم في تضاعيف تفسيره لوجود الباء في صيغة (أفعل به) من قوله : (.. ثم زیدت الباء كما قالوا : كفى بالله ، ليدلّ على التعجب)^(٢) . وسبق لنا التنويه بتوجيه ابن الشجري (٥٤٢هـ) الذي علل زيادة الباء (حملاً على معناه ، إذ كان بمعنى اكتف بالله)^(٣) ، كما زیدت في صيغة (أفعل به) التعجبية ، متابعاً بذلك رأي الزجاج (٣١١هـ) الذي تقدّم تفصيله ، ومشيراً أيضاً إلى العمل الوظيفي للحرف الزائد وسوقه الكلام إلى جهة الإنشاء . وأكد ابن أبي الربيع (٦٨٨هـ) أيضاً وظيفة الباء وضرورة التزامها في مثل : (كفى بالله) وأحسن بزید ! ، على الرغم من كونها زائدة فيهما ، فقد قال : (وزیدت الباء إصلاحاً للفظ ، وهي هنا تلزم ولا يجوز إسقاطها إلا في الضرورة)^(٤) . أمّا ابن أمّ قاسم المرادي (٧٤٩هـ) فقد وثق معنى هذه الباء في موضعين من كتابين له ؛ الأول جاء في كتابه جنى الداني ، مسمياً إياها باب التعجب التي تُزاد مع الفاعل في مثل (كفى بالله) وأحسن بزید^(٥) . والموضع الثاني في شرحه على ألفية ابن مالك في باب التمييز حين ناقش آراء العلماء حول تقديم التمييز على عامله سواء أكان متصرفاً أم غير متصرف ؛

١ - الأصول ، ٢ / ٢٥٩ - ٢٦٠

٢ - المقتصد في شرح الإيضاح ، ١ / ٣٩٥ .

٣ - أماني ابن الشجري ، ٣ / ٢٢٢ .

٤ - البسيط في شرح الجمل ، ابن أبي الربيع عبيد الله بن أحمد الأشبيلي (٦٨٨هـ) ، تحقيق د . عياد بن عيد الثبتي ، دار الغرب الاسلامي ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م ، بيروت - لبنان . ٨٥٥ ، وينظر أيضاً : ص ٤٦٣ .

٥ - ينظر الجنى الداني ، ٤٧ .

إذ منع سيبويه تقديمه مطلقاً على عامله ومعه الفراء وأكثر الكوفيين ، في حين أجاز الكسائي والمازني والمبرد أن يتقدّم على عامله المتصرف ، ووافقهم ابن مالك ، لورود السماع به ^(١) . وردّ المرادي على من قالوا بجواز التقديم أنه ليس على إطلاقه ، إذ يخترم ذلك (في نحو : (كفى بزيدٍ ناصراً) فلا يجوز تقديم (ناصراً) على (كفى) وإن كان فعلاً متصرفاً ، لآئته بمعنى فعل غير متصرف ، وهو فعل التعجب ؛ فمعنى قولك : (كفى بزيدٍ ناصراً) ، ما أنصره رجلاً) ^(٢) .

وتابع ابن عقيل (٧٦٩هـ) المرادي حذو الفُذّة بالفُذّة في شرحه على الألفية ، جاء ذلك مسبوقاً بما نصّ عليه من أنّ التمييز يقع بعد كل ما دلّ على تعجّب ، ومضى يعدّد أمثله ، جاعلاً منها قولهم : (كفى به عالماً) ^(٣) . وفي تفسيره آية { أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ } [٢٦: الكهف] عرض الألوسي (١٢٧٠هـ) رأي الرضي (٦٨٦هـ) في الكافية الذي ضعّف قولهم : بأنّ الأمر جاء بمعنى الماضي في صيغة (أفعل به) للتعجب ، بل يجيء الماضي عنده بمعنى الأمر ^(٤) ؛ فردّ الألوسي بقوله : (وتعجب بأن كون الأمر بمعنى الماضي مما لم يعهد غير مسلم ، ألا ترى أنّ (كفى به) بمعنى اكتف به عند الزجاج ، وقصد بهذا النقل الدلالة على أنه قصد به معنى إنشائي وهو التعجب) ^(٥) . وفي هذه النصوص المتقدمة كفاية ودليلاً على أنّ صيغة (كفى به) دالة على الإنشاء المراد به التعجب ، بحسب مفهوم اللغويين له الذي سنناقشه في السطور اللاحقة .

١- ينظر في تفصيل ذلك الإنصاف في مسائل الخلاف ، كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن سعيد الأنباري (٥٧٧هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، مسألة (١٢٠) ، ٢ / ٨٢٨ وما بعدها ، وينظر أيضاً توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ، ابن أم قاسم المرادي (٧٤٩هـ) ، تحقيق عبد الرحمن علي سليمان ، دار الفكر العربي ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م ، القاهرة ، ٢ / ٧٣٥ - ٧٣٧ .

٢- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ، ٢ / ٧٣٧ .

٣- ينظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، بهاء الدين عبد الله بن عقيل (٧٦٩هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار التراث ، ط ٢٠٠٠ ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ، القاهرة ، ٢ / ٢٩٠ وما بعدها .

٤- ينظر شرح الرضي ، ٤ / ١٩١ - ١٩٢ .

٥- روح المعاني ، ١٥ / ٢٥٥ .

ومع هذا كله ، فإنك لا تعدم من ينكر أن تكون الباء للتعجب ، كما جاء عن القوجويّ المعروف بـ (شيخ زاده) (٩٥٠ هـ) في شرحه على قواعد الإعراب لابن هشام (٧٦١ هـ) حين تحدث عن زيادة الباء في القياس والسماع وأمثلهما ، ولما عرّج على الثاني قال : (وسماعاً في غير التعجب نحو : (كفى بالله شهيداً))^(١) . أضف له أنّ قسماً ليس قليلاً من أساطين النحاة أعرض عن بيان صيغة (كفى به) ودلالاتها على التعجب بأثر الحرف الزائد أم من دونه ، أمثال أبي علي الفارسي (٣٧٧ هـ) الذي لم أجد في كتبه ما يشير إلى معنى ذلك على الرغم من بحثه لمسائلها في قسم من مؤلفاته التحويلية ، ؛ ولست أدري أهو سهو أم إغفال منه ؟ أم لكونها تفتقر عنده لهذا المعنى وعند بقية النحاة الذين لم ترد أسماؤهم ؟ إذ لم أعثر في كتبهم شيئاً من هذا القبيل على كثرة تتبعي له ؟ . الأمر الذي يدعونا إلى حسم القضية ، من خلال تعقب هذا الأسلوب في مظانّه الفصيحة ، كالقرآن الكريم والمروى من كلام العرب الفصيح وأقوال العلماء في هذا الغرض لإبداء الرأي الراجح فيهما .

ثانياً- صيغة (كفى به) والتعجب :

نريد هنا في هذا المبحث التحقّق من دلالة صيغة (كفى به) على التعجب ، ونعني بها مجيء الفعل بصيغة الماضي بزيادة الباء في فاعله ، ونطلب هذا المفهوم في كتب النحاة ؛ فما هو التعجب عندهم ؟

عرّف الرضي (٦٤٦ هـ) التعجب بأنّه (انفعال يعرض للنفس عند الشعور بأمرٍ يخفى سببهُ)^(٢) وأوضح ابن عصفور (٦٦٩ هـ) طبيعة هذا الانفعال وماهيته بقوله : (التعجب ، استعظام زيادة في وصف الفاعل خفي سببها ، وخرج بها المتعجب منه عن نظائره ، أو قل نظيره)^(٣) . واشترط الرضي (٦٤٦ هـ) للمتعبّب منه أن يحصل في الماضي ويستمر إلى الحال ، ولا يكون في الحال الذي لم يتكامل أو المستقبل الذي لم

١- شرح قواعد الإعراب لابن هشام ، ٦٢ .

٢- شرح الرضي ، ٤ / ١٨٦ .

٣- شرح جمل الزجاجي ، أبو الحسن علي بن مؤمن بن عصفور الإشبيلي (٦٦٩ هـ) ، تحقيق فواز الشعار ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ، بيروت - لبنان ، ١ / ٥٧٥ .

يدخل حيز الوجود بعدُ^(١) . ولو أجرينا تليقاً بين تعريف الرضي وشروطه مع تعريف

ابن عصفور ، لتحصّلنا من بنية مفهوم التعجب ، على الآتي :

١- التّعجب شيء خفي سببه عرض للنفس .

٢- استعظام بزيادة في وصف الفاعل (المتعجب منه) .

٣- خروج المتعجب منه (الفاعل) عن نظائره أو يقل .

وإذا ما تحقّقنا من انطباق بنية التّعجب في عناصرها الثلاث على صيغة (كفى به)

، سنحصل على نتيجة منتجة من ذلك ، لفاعلية تلك العناصر في إنشاء هذه الصيغة .

فلو قلنا : (كفى بزيد رجلاً) ! ألا ندرك بالبداهة أنّ هذا القول الإفصاحي يُراد به

المدح أولاً ؟ ، ثم استعظام في وصف الفاعل (زيد) المتعجب منه بما فاق نظائره ، أو

قل نظيره حتى خرج ذلك الفاعل عن سواه ؟ . أضف له أنّ فيه شيئاً خافياً لا يمكن

تحديده ؛ مع أنّه صفة يدركها الذهن ولكن لا يجد القدرة الكافية على تقييدها بقيد محدد

لدقتها ، فضلاً عن غموض سببها ومنشئها ، حالها حال الأمر في صيغتي التّعجب : (

ما أفعله) و (أفعِلْ به) . ولو أجرينا المثال المتقدم على الصيغتين القياسيتين بقولك :

(ما أكفى زيداً) (وأكفِ به) ! ، دلّ الجميع فيه على إنشاء المدح ، واستعظام بزيادة

في وصف المتعجب به (الفاعل) ، بما يُخرجه عن نظائره أو يقل ؛ من ذلك تزداد

قناعتنا أكثر بما افترضناه من تطابق بين مفهوم التعجب وشروطه على صيغة (كفى به

) من خلال ما بان من العلاقة الدلالية بينها وبين صيغتي التّعجب القياسيتين ، من كونها

علاقة وثيقة ظاهرة للعيان ، لا يحتاج فهمها إلى تعمق مسوق بالدلائل أو البراهين عليها

ومن البراهين النحويّة على قيام دلالة التعجب في (كفى به) هو جمود فعلها -

المتصرف أصلاً - في حدود هذا التعبير وقيامه فيه حصراً ، كما جمدت الأفعال

المتصرفة عندما دخلت في الصيغتين القياسيتين . وقد فطن القدماء إلى قيام هذه الظاهرة

في (كفى به) وعبروا عنها من نحوين ؛ الأول منهما ، جاء من تتبع استعمالها فوجدوا

أنها لازمت حالة المفرد المذكر ، عن سواه من حالات التأنيث والتثنية والجمع . ومن

١- ينظر شرح الرضي ، ٤ / ١٨٧

هؤلاء الذين قيدوا ذلك بكتاب ابن سيده (٤٥٨ هـ) في المخصّص ، حينما استعرض وجوه (كفى) واستعمالاتها ، وما جاء على شاكلة (كفى به رجلاً) ودلالاتها ممّا تكلمت به العرب بالباء الزائدة ، فقد حكى عن ابن الأعرابي (٢٣١ هـ) في ذلك قوله : (ولا يُنْتَى ولا يُجْمَع ولا يُؤنَّث)^(١)

وفي إعراب القرآن المنسوب للزجاج (٣١١ هـ) فرّق مؤلفه فيه بين فاعل (كفى) المجرور بالباء وفاعلها المجرور بحرف الجر (من) ؛ فما جاء منهما مجروراً بـ (من) يُنْتَى ويُجْمَع ، نحو : مررتُ برجلٍ كفاك من رجلٍ ، وبرجلينِ كفاك من رجلينِ ، ورجال كفوَك من رجال . أمّا ما يأتي منهما مجروراً بالباء على منوال (كفى به) (فتُفْرِدُ الفعلَ لأنّ الفاعلين بعد الباء)^(٢) ومثله ما نقله أبو حيان النحوي عن الأخفش الأوسط (٢١٥ هـ) قوله : ولا يُنْتَى ولا يُجْمَع . وزاد أبو حيان بقوله : ولا يُؤنَّث^(٣) .

أمّا النحو الثاني ف جاء من إكثارهم المقارنة بين صيغة (أفعلُ به) بصيغة (كفى به) عندما يتحدثون عن زيادة الباء في فاعلها ، وكأنتهم يلحظون الدلالة المشتركة بين هاتين الصيغتين ، بفعل حرف الجر وظيفة ومعنى ؛ لأنّ الباء في كلتا الصيغتين زائدة للتوكيد ، ولها وظيفة لكتليهما أخرى بحسب قول النحاة ؛ فهي في (أفعلُ به) جاءت لتوافق لفظها الدال على الأمر لقبح اسناده إلى اسم ظاهر بعدما غيّرت الصيغة من الإخبار إلى الإنشاء^(٤) ، وأدّت الغرض نفسه في (كفى به) أخذاً برأي الزجاج المتقدم ، الذي ذهب إلى أنّها جاءت حملاً على معنى الأمر المتضمن فيها ، إذ هي بمعنى (اكنفِ بالله) . مع أنّ الأجدر أن يتوجه النظر إلى الباء نفسها لا إلى الفعلين ، لكونها الفاعل المحوري في المسألة ، فمتى ما وجدت في الاسمين بتلك الصيغتين نصّت على معنى التعجّب .

١- المحكم والمحيط الأعظم ، ١١٣ / ٣٩ ، مادة (ك ف ي)

٢- إعراب القرآن ، المنسوب الى الزجاج ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتب الاسلامية ، ط ١ ، القاهرة القاهرة ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٢ م ص ٦٧٠ .

٣- ينظر ارتشاف الضرب ، ٤ / ١٦٢٤

٤ - ينظر حاشية الصبان على شرح الأشموني على شرح ابن مالك ، محمد بن علي الصبان (١٢٠٦ هـ) تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ٢٦ / ٣ .

وبعد ؛ فمن خلال ما استعرضناه - أعلاه - يمكن للباحث المتأمل أن يجمع العناصر المشتركة بين هاتين الصيغتين على النحو الآتي :

- ١- الفعلان عند النحاة فيهما يدلان على الزمن الماضي مع اختلاف صيغتهما .
- ٢- دلالة الزمن فيهما غير محددة وهي تمتد من الماضي إلى الحاضر .
- ٣- الفعلان اكتسبا الجمود من دخولهما في صيغتيهما مع أنها في الأصل متصرفان .
- ٤- حرف الجر الباء زائد للتوكيد يدخل على فاعلها لينقل دلالتها من الإخبار إلى إنشاء التعجب .

ويحسن بنا التذكير قبل ختام هذا المبحث ، بمن نوه بدلالة صيغة (كفى به) على التعجب من المحدثين ، أعني به د. فاضل السامرائي ، الذي أخذ برأي بعض القدماء ممن فطن إلى المعنى الوظيفي للباء الزائدة وبنى عليه حكماً نحوياً ودلاليّاً باتّاءً ، جاء ذلك مفصّلاً في مبحثين منفردين من كتابه (معاني النحو) ؛ منه حديثه في مبحث دخول الباء على المتعجب منه ، الذي قال فيه : (وتدخل في فاعل (كفى) فيفيد التعجب نحو : { وَكَفَى بِاللَّهِ وَكَيْلًا } [الأحزاب : ٤٨] .. ، ولو حذف الباء لم يكن الفعل نصّاً في التعجب ... بل يُحتمل التعجب وغيره)^(١) .

المبحث السادس : كفى في دائرة التطبيق القرآني :

أولاً- كفى به في القرآن الكريم:

تأتي أهمية هذا المبحث من مكانة كتاب الله المجيد بوصفه أهم مصادر اللغة العربية وثوقاً وفصاحة . ولهذه الصيغة اطراد واضح فيه حتى قال بعض النحاة بندرته في كلام العرب وكثرته في كتاب الله^(٢) . ووردت هذه الصيغة في ثلاثة وثلاثين موضعاً

١- معاني النحو ، د. فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر ، ط١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ، عمان -

الأردن ، ٢٨٨ ، وينظر ٢٩٣-٢٩٤

٢- ينظر الإيضاح في شرح المفصل ، ٢ / ١٤٨ .

من الكتاب على أنحاء متعددة ؛ أعني بالفعل الماضي الدال على الحسب من الكفاية والباء الزائدة في فاعلها ، في ظاهرة لم تتكرر إلا في القرآن الكريم . من نحو قوله تعالى : { وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا } [النساء: ٧٩] ، وقوله : { وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا } [الفرقان : ٣١] ، وقوله : { كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا } [الإسراء : ١٤] ، وهكذا كان منوال الآيات المتبقية الأخرى ، إذ لم تخرج عن هذا النحو الدال على إنشاء التعجب . ومما له صلة أيضاً بهذا المبحث ما ورد من الآيات التي جاءت بمضارع (كفى) وكانت في أربعة مواضع ، يهمننا هنا منها آية توحى بمضمون التعجب لأسباب نحوية ودلالية ؛ وهي قوله تعالى : { أَوْلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } [فصلت : ٥٣] . والداعي لقيام معنى التعجب فيها سببان ؛ أولاهما دلالة الفعل على المضي بأثر الحرف (لم) الذي يقلب زمن المضارع من الحال إلى الزمن الماضي . وثانيهما وجود حرف الجر الباء في فاعلها . ويظهر من سياق الآية وجود الاستفهام في نوعه المجازي ، وتحديداً ؛ الاستفهام التقريري منه ^(١) ، الذي يجاب عنه بـ (بلى) ، وهو إنشاء تقريري لزوماً . وزيادة على ما تقدّم ؛ ما جاء من وجوه التفسير التي قيلت في هذه الآية ، وأخصّ به كلام القرطبي (٦٧١ هـ) في تفسيره لها ، بقوله : (وقيل : أولم يكفِ بِرَبِّكَ شاهداً على أنّ القرآن من عند الله) ^(٢) . ومن ثمّ يأتي السؤال هنا ؛ هل يدل سياق الآية على التعجب ، قياساً على ما وجدناه في صيغة (كفى به) من علامات ؟ ولو تمعنا في مضمون الآية وسياقها فبحثنا عن مفهوم الاستعظام بزيادة في وصف المتعجب به (الفاعل) ، بما يُخرجه عن نظائره أو يقل ، لوجدنا قيامه فيه بصورة بيّنة هذا أولاً . أما العلامة الثانية فهي وجود الباء الزائدة في مرفوعه (الفاعل) الذي سيصير متعجباً منه . وقياساً على ذلك يصحّ أنّ نفس الآية : { أَوْلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } - بناء على معطيات الكلام - بقولنا إنّ معناها : كفى بِرَبِّكَ شاهداً أو شهيداً . ولا أرى بأساً أن يؤخذ بهذا التفسير ولو لم يرد عن المفسرين ، عملاً بالقياس اللغوي وأخصّ منه

١- ينظر تفسير التحرير والتنوير ، الشيخ محمد طاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤ ، تونس . ٢٥ / ٢٠ .

٢- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ، محمد بن أحمد القرطبي (٦٧١هـ) ، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م ، بيروت - لبنان . ١٨ / ٤٣٨

قياس الشبه الذي قال به أصوليو النحو ، وهو عندهم (أن يُحمل الفرع على الأصل بضرب من الشبه)^(١) . وهو - بعد - منهج معتدّ به في أصول العربية يمنحها منافذ التوسع في الاستعمال ، وفي ذلك علامة على حيوية هذه اللغة وعبقريتها .

المبحث السابع : كفى في دائرة التطور اللغوي :

أولاً- كفى بين الاستعمالين القديم والحديث

١- الاستعمال القديم:

يمكن لنا صوغ النماذج الموروثة من الاستعمال العربي القديم للفعل (كفى) بصيغة

الماضي بالترتيب في أدناه ، مع تباينها من حيث الكثرة والقلة ، وعلى النحو الآتي :

- ١- كفى + [حسب] + لازم + الباء الزائدة + فاعل + معرفة + التمييز = تعجّب .
 - ٢- كفى + [حسب] + لازم + فاعل + معرفة + تمييز = خبر .
 - ٣- كفى + [أجزأ أو أغنى] + متعدّد + فاعل + معرفة + مفعول + تمييز = خبر .
 - ٤- كفى + [أجزأ أو أغنى] + متعدّد + فاعل + معرفة + مفعول = خبر .
 - ٥- كفى + [وقى] + متعدّد + فاعل + وقى + معرفة + مفعول ١ + مفعول ٢ = خبر .
- أما أمثلة هذه النماذج فهي مرتبة على التوالي في النحو الآتي :
- ١- وهو كثير مطرد ؛ كقوله تعالى : { وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا } [النساء : ٧٩] .
 - ٢- دونه في الكثرة ؛ كقول الشاعر :^(٢)

عُمَيْرَةٌ وَدَّعَ إِذْ تَجَهَّزَتْ غَادِيَا كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرِّ نَاهِيَا

- ٣- كقول الإمام علي (عليه السلام) : (إلهي ، كفاني فخرًا أن تكون لي ربًا . وكفاني عزًّا أن أكون لك عبدًا)^(٣)

١- لمع الأدلة في أصول النحو ، أبو البركات عبد الرحمن كمال الدين محمد بن الأنباري (٥٧٧ هـ) ، تحقيق سعيد الأفغاني ، دار الفكر ، ط ٢ ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م ، بيروت . ١٠٧ .

٢- سبق تخريجه .

٣ - الحديث في البصائر والنخائر ، أبو حيان التوحيدي (٤١٤ هـ) ، تحقيق د. وداد القاضي ، دار صادر ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، بيروت . ، ١٦ / ٢ . ويروي بلفظ آخر (كفى بي فخرًا .. وكفى بي عزًّا) في كنز الفوائد ، الإمام أبو الفتح الشيخ محمد بن علي بن عثمان الكراچكي (٤٤٩ هـ) تحقيق عبد الله نعمه ، دارالأضواء ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، بيروت - الغبيرة . ٣٨٦ / ١ .

٤ - - كالحديث الشريف : (مَنْ قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلةٍ كفتاه)^(١)

٥ - كقوله تعالى : { وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ } [الأحزاب : ٢٥]

ويلحظ من النماذج وأمثلتها أعلاه ؛ أنّ النموذج الأول للفعل الماضي (كفى) بمعنى (حسب) وهو فعل لازم أكثر استعمالاً من سواه في غرضه ، ويُراد به - كما أثبتنا - إنشاء التعجّب لأنّ الباء الزائدة دخلت على فاعله ، في حين أنّ النموذج الثاني عاد خبراً لخلو فاعله من حرف الباء الزائد . أمّا النموذجان الثالث والرابع فقد اشتركا في معنى (أجزاء أو أغنى) ، فكانا متعدّين لمفعول واحد ، لكنهما اختلفا في وجود الفضلة في الثالث دون الرابع وأعني بالفضلة التمييز . وبقي النموذج الخامس محتفظاً بصورة واحدة وهي التعدي لمفعولين مكتفياً بهما دون زيادة أو فضلة دالا على الخبر الصريح ومعنى فعله هنا (وقى) ، على أنّ الثلاث المتبقية جاءت أخباراً من قسمي الكلام .

٢ - الاستعمال الحديث :

يُراد بالاستعمال الحديث اللغة العربية الأدبية الشائعة في الصحف والمجلات والتقنوات الإعلامية المرئية أو المسموعة أو المكتوبة ، وسائر المنصّات والصفحات الإلكترونية ونظائرها ، على أنّ الدواجر أو العاميات ليست جزءاً من هذا المبحث . ويغلب على هذا الاستعمال النموذجان الآتيان :

١- كفى + [حسب] + لازم + فاعل + ضمير + تمييز = إنشاء

٢- كفى + [حسب] + لازم + فاعل + ضمير + مفعول + تمييز = إنشاء .

ومن أمثلة هذين النموذجين - وعلى ترتيبهما - النحو الآتي :

١- من أمثلته : (كفى ذلاً) (كفى طائفية) (كفى سهراً) (كفى نوماً) ..

٢- من أمثلته : (كفانا ذلاً) (كفانا طائفية) (كفاكم سهراً) (كفاكم نوماً) ..

الملاحظ من الاستعمالين المُحدّثين أنّ كفى متضمنة معنى (حسب) مع لزوم فضلة التمييز فيهما معاً . وإن كان أولهما يقرب إلى الموروث من معناها ، لكنّ ثانيهما جديد في اطراد استعماله ؛ لأنّ دلالة (حسب) - كما بان لنا - تعمل دوماً على لزوم الفعل (كفى) في العربية ، ودلالة (أغنى أو أجزاء) على تعديه . ومن الجديد أيضاً

١ - سبق تخريجه .

على العربية الحديثة افتقاد أول النموذجين الباء الزائدة في فاعل (كفى) التي تنص على التعجب في هذا الأسلوب . والأكثر بروزاً من ذلك كله ، هو دلالة الاستعمالين من النموذجين على الطلب الحقيقي^(١) ، وتحديداً الأمر منه * . وبذلك قام فيهما - صريحاً - المعنى الذي قال به الزجاج ، أي دلالة الفعل على الامر بتقدير: (اكتب) ؛ أو بما هو قريب لها النوع كالطلب بلام الأمر، إذا ما رُعيت دلالة التقدير في جملة (كفانا ذلاً) ونظائرها من الكلام ، فيكون المناسب به لفظ (لنكتب) . ومن جميع ذلك ؛ سيعدّ هذان النموذجان ضربين من ضروب التطور في الاستعمال المطرد ، عندما تحوّل الكلام من إنشاء التعجب في النموذج الأول والخبر في النموذج الثاني ، إلى إنشاء آخر وهو الطلب بالأمر ، مع التزامه الفضلة : (التمييز) في تعبيره .

خاتمة البحث ونتائجه

- تعدّ ظاهرة الفعل (كفى) شاهداً على حيوية العربية وتفوقها ، وكذا على تطور الفكر النحوي العربي في النظر إلى تلك الظاهرة والتعمق في مباحثها وتطبيقاتها .
- للمعنى المعجمي أثر فاعل في تتوّع عمل (كفى) نحواً وأسلوباً ودلالة .
- وجود حرف الجر في فاعل الصيغة (كفى به) نصّ على إنشائها للتعجب ، وغياب تلك الباء ترجيح للإخبار على الإنشاء فيها ؛ إلا ما دلّ عليه السياق .
- يمكن تعدية الحكم في صيغة (كفى به) إلى ما يقاربه دلالة ونحواً ، من مثل (ألم يكف به) ، استناداً إلى شروط تلك الصيغة التعجيبيّة ومقوماتها .
- اقتصرت (كفى) في الاستعمال الحديث المطرد على معنى (الحسب) من عمل الفعل اللازم وكذا المتعدي منه بوصفه أثراً من تطور استعمالها .
- ومن أثر التطور أيضاً ؛ غياب صيغة (كفى به) لإنشاء التعجب عن الاستعمال المطرد الحديث ، في حين اطرّد نوع الإخبار من استعمالها في نموذجيها اللذين أثبتناهما .

انتهى بحمد الله

* ذكر الرضي أنّ المعهود في العربية أن يأتي الفعل الماضي بمعنى الأمر لا أن يأتي الامر منه بمعنى الماضي . ينظر شرح الرضي على الكافية ، ٤ / ١٩١ .

***The Phenomenon of the Verb Kafa : A Study in the Lexicon
and its Relation to Syntax and Style***

Lect.Dr. Saad Abdul Hussein Faraj Allah

Abstract

This research addresses the verb كفى [kafa], which is a unique phenomenon in Arabic in terms of its use lexically, syntactically and stylistically. Via its use, the researcher tracks the Arabic syntactic thinking and its developmental stages regarding this phenomenon, indicating through its way the linguists' views in general and grammarians in particular, in terms of presentation, contrasting, and outweighing. Later, it is concluded to confirm the formula (كفى به) as a new exclamatory structure, for its steadiness and uniqueness in its style, especially in the Holly Qur'an. After that, the research compares it with another use of exclamation depending on the significance of the syntactic structure of what was not common to the grammarians. Thus, the research goes on until getting to a comparison between the old and the new or contemporary uses of (كفى) and laying a hand on the aspects and the development of its use, samples and examples.

Key words : syntactic thinking, syntax of meaning, syntax of structure, exclamation .